

الأمانة العامة للأوقاف

تربية المسلم

في عالم معاصر

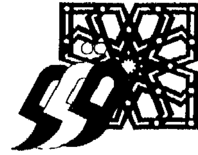
(منطلقات للتطوير)

إعداد

د. يوسف عبد المعطي

المستشار بمركز البحوث والدراسات الكويتية

الصندوق الوقفي للثقافة والفكر



الأمانة العامة للأوقاف

تربية المسلم

في عالم معاصر

(منطلقات للتطوير)

إعـــداد

د. يوسـف عبـد المعطي

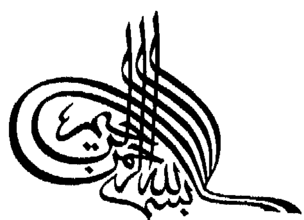
المستشار بمركز البحوث والدراسات الكويتية

الصندوق الوقفي للثقافة والفكر

الطبعة الثانية ١٩٩٨م

الصندوق الوقفي للثقافة والفكر

فاكس : ٢٥٢١٨٧٥ - ص.ب : ١٥٩٩٠ - الدعية - الرمز البريدي 35460 الكويت


بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

تصدير

يسعى الصندوق الوقفي للثقافة والفكر إلى نشر الثقافة الإسلامية ، وتأصيل الفكر الإسلامي المستنير ، ويعمل على تطوير حركته ، وتشجيع الإبداع في مختلف ميادينه ، لدعم الثقافة الإسلامية وتحديث دورها الفاعل في بناء الإنسان الحضاري القادر على مواجهة حركات التغريب والغزو الثقافي ، والإسهام في الوقت ذاته بوعيه وفكره وجهده في إحداث التنمية الراشدة في وطنه ونشر السلام والمحبة والتعاون في عالمه .

ولما كان البحث العلمي أحد روافد الثقافة الإسلامية الخالدة ، وأحد ينابيع فكرها الحضاري المتجدد فإن الصندوق الوقفي للثقافة والفكر يؤمن بحقيقة ما توصلت إليه أبحاث العلماء والمختصين من أن نقطة البداية في أي مسعى للإصلاح والتنمية هي بناء الإنسان بناء متكاملا ، من خلال منهج تربوي يحقق ذلك ، ففي عقله تبدأ رحلة التأمل والاقتناع بالهدف ، وفي قلبه يتوقد العزم ، ومنهما معا تنشأ الإرادة المصممة ، وبقواه البدنية وجوارحه الجسمية تتحول الفكرة والمبدأ إلى حركة ناشطة ، وجهد فاعل يتحقق بهما الهدف .

وهذا البحث الذي يقوم بنشره الصندوق الوقفي للثقافة على الساحة الإسلامية واعد بتواصل بحوث أخرى في قضية من أخطر قضايا التربية المعاصرة وهي تربية المسلم على هدي من الشريعة في مواجهة تحديات عالم معاصر .

وهو بحث سعى إلى أن يقدم لنا رؤية تنتقل بالتربية الإسلامية من نظرة جزئية يغيب عنها التطبيق المعاصر لمبادئ الإسلام في شؤون الحياة إلى تربية تقوم على التكامل في أهدافها وسماتها وخصائصها ومتطلباتها ، وتسعى إلى إعداد المسلم إعدادا شاملا ليتكامل مع نفسه ، ومع مجتمعه ، ويسلك النهج

الرباني الحكيم في علاقاته وتعامله مع الكون والحياة .

إنه يضع الأسس ، ويرسي قواعد الفكر الإسلامي لنظرية تربوية تقوم على الوسطية والتوازن ، ويسعى إلى تنمية الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، حريصة في الوقت نفسه على أن تتخذ العلم وسيلة وسبيلا إلى تنمية شاملة ، واعاية بأهمية الإفادة من تطبيقاته ومعطياته ، داعية إلى الإتقان والإبداع ، والتزام قيم التنمية الشاملة التي يكون بها إعمار الكون وقوام الحياة .

كما أنه من خلال عرضه لمجموعة من التقارير العالمية الحديثة حول التربية وما تشكو منه من مشكلات تواجه البشرية ، وتعبر عن أزمة التربية في العالم المعاصر ، - وهي تقارير تنادي بضرورة إحداث تغيير في مسارات التربية - يعد الإنسان لمواجهة عالم جديد تنتهبه الحيرة وينتشر فيه القلق ، ويعاني من الصراعات والسباقات المحمومة ، فيقدم الكتاب رؤية لما يمكن أن تمنحه الشريعة الإسلامية للفرد وللمجتمع وسط ذلك كله من السكينة والوعي بمتطلبات الرحلة على كوكبنا الأرضي وبأهدافها ، وبمسئولية الإنسان في الانتفاع الراشد بثمارها .

وهي رؤية جدير بأن يكون بين يدي المربين ومعلمي التربية الإسلامية وصانعي القرار في تطوير مناهجها الدراسية ، كما هي جديرة بأن تكون مشفوعة بدعاء صادق متصل للأخ الكريم الدكتور يوسف عبدالمعطي الذي قدم هذا البحث في مجال تأصيل الفكر التربوي الإسلامي .

وأملنا كبير في أن يبارك الله هذا الجهد ، ويحقق به النفع ، والله يهدي إلى سواء السبيل ،

أ . د . عبدالله يوسف الغنيم
رئيس مجلس إدارة الصندوق الوقفي
للثقافة والفكر
يونيو ١٩٩٨م - صفر ١٤١٩ هـ

مقدمة الطبعة الثانية

حين أعددت هذا البحث كمنطلق للتطوير في تربية المسلم على هدي من شريعة الإسلام الحنيف في مواجهة تحديات عالم معاصر، أحسست أنه حاء في وقته، وسط صحوة إسلامية تتنامى، وتعبر عن إيمان قدرة هذا الدين على أن يمنح البشر أفرادا ومجتمعات ما يفتقدونه في خضم عالم الصراعات والعنف، والعدوان، ودعوات التحلل، ومشاعر الضياع بعيدا عن سلام النفس وسكينتها، وإرادة العمران والتنمية لمجتمعاتنا، وسماحة العيش مع الآخرين بالتعاون والمحبة والود.

وأحسست - كذلك - أن على المؤمنين بالمشروع الإسلامي الحضاري ودوره المأمول، أن يترجموا مشاعر هذه الصحوة، كل في ميدان تخصصه بأسلوب علمي موضوعي، إلى أسس ومبادئ تستلهم نهج هذا الدين وقيمه وتوجهاته في تربية الإنسان، وعلاج مشكلات العصر، ويحولوا هذه الصحوة ومشاعرها المتوهجة إلى منهج فاعل في حياتنا، مؤثر في إرادتنا، دافع إلى العمل والإتقان والإبداع، يبدأ في مؤسسة بناء الإنسان، مؤسسة التربية والتعليم، ليلتحم بعد ذلك بمجالات الحياة كلها ويكون طابعها المتميز الأصيل.

إن هذا هو ما تنبهت له جهود كريمة توجهت إلى تأصيل مفهوم التربية في الإسلام، وكشفت عن أسرار هذا النهج الرباني في الطبيعة الإنسانية تنمية لذاتها وتوثيقها لعلاقتها بالكون وبالحياة في إطار العلاقات المثلى والتعاون الكريم مع الآخرين، لتسعد البشرية بما كرمها الله به من معطيات العلم وثمرات المعرفة والحكمة :

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة الآية : ١٥١).

وتواجه التربية في هذه العقود الأخيرة من هذا القرن ، ونحن الآن على عتبات القرن الحادي والعشرين بتحدياته وتوجهاته السياسية والاقتصادية والمتغيرات التي واكبتها ، أزمة قلق وحيرة ، فرضت نفسها على العالم ووضعت التربية أمام مسؤوليات جسام ، أو بتعبير أكثر دقة ووضوحا أمام كثير من مناطق الحرج والاختناق التي تناولتها تقارير المؤسسات ذات الشهرة العالمية ، وأصبح لزاما على التربية أن تجلّي في وضوح ما يمكن أن تقدمه بحثا عن حلول لهذه المشكلات في إطار مشروع عالمي واسع تحت مسمى «العالم في آفاق عام ٢٠٠٠» .

وزاد يقيني - أمام ذلك - بأن العالم خسر كثيرا بغياب التطبيق المعاصر لمبادئ الإسلام في تربية البشر ، فوضعت أمامي التقارير الدولية التي تنطلق من الواقع رصدا لمعاناته ، وتحليلا لمشكلاته وتمتد استشرافا إلى تطور هذه المشكلات ، وتحديد الأولويات التي تتطلب تغييرا أو إعادة توجيه لمسار التربية وتوجهاتها نتيجة لذلك .

ووقفت بمعطيات ذلك كله من مشكلات وتوترات تمثل أزمة التربية المعاصرة أمام منهج الإسلام في التربية : عناية بالفرد المسلم ، إعدادا لذاته ، وتوجيها لمسلكه ، ورعاية لأسرته ، وتعاملا مع أفراد مجتمعه ، وقياما بحق هذا المجتمع عليه ، ونهجا في علاقته بالمجتمعات الأخرى ، ثم بالكون والحياة .

وقد أحسست أمام هذه التطلعات التي تنشدها التقارير المتخصصة في تربية إنسان القرن الحادي والعشرين أنني أطالع صفحات كاملة من أهداف التربية الإسلامية وخصائصها ، وأبرز سماتها ، فوجدت نفسي أمام تساؤلات تحدد معالم طريق التربية في المستقبل .

هل يمكن أن يتواصل المرء بحق مع نفسه : تكاملا لرؤيتها؟ ومع مجتمعه إحساسا بواجبه إزاءه؟ ومع عالمه بغير أن يتواصل مع ربه؟ وأي خسارة لحقت بعالمنا في غياب هذا التوجه الرباني؟

وماذا يقول الباحثون المختصون في دراساتهم الصادرة عن المؤسسات الدولية العالمية غير هذا؟ أملا في تربية تدور حول القيم الإنسانية للتربية . .» .

وإذا كان هذا البحث - في طبعته الثانية - مدينا بالفضل والشكر للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسسكو) التي تفضلت بنشر الطبعة الأولى منه عام ١٤١٥هـ الموافق ١٩٩٥م ، فإن التقدير عميق للأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت ، ممثلة في الصندوق الوقفي للثقافة والفكر الذي رأى أن يعيد إصداره في طبعته الثانية ، أملا في تيسير الحصول عليه للراغبين في البحث والاطلاع .

وأمام هذه الرغبة الكريمة بادرت بالموافقة ، حيث التقت أهدافنا جميعا على السعي لنشر الخير بين الناس ، ابتغاء لنفع المسلمين في حاضرهم ومستقبلهم ، وأملا في أن يكون ذلك تواصلا لبحوث مستفيضة في هذا المجال سعت لأن ترسخ جذور النظرية الإسلامية في التربية ، وتقدم رؤيتها في حل أزمة التربية المعاصرة على نحو نرجوه لعالم يتقدم ، ولكنه يزداد قلقا وحيرة .

والله نسأل دائما أن يلهمنا الحق ، ويرزقنا اتباعه ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

المؤلف

د . يوسف عبد المعطي

الكويت في شهر صفر ١٤١٩ هـ

يونيو ١٩٩٨ م

تقديم

الطبعة الأولى

لقد أولى الإسلام أكبر عناية لتكوين الإنسان تكوينا سليما ، وقد حرص على أن يعده للقيام بأعباء بناء المجتمع الإسلامي على أكمل الوجوه : إيمانا بربّه سبحانه وبرسله وباليوم الآخر ، والتزاما بمنهجه الأكمل في جميع مناحي الحياة ، وتعبدا له بإعمار الأرض واستخراج كنوز الطبيعة وتسخير طاقاتها .

ولذلك كانت التربية ، بمفهومها الإسلامي الأشمل الأزكى ، غاية الغايات في الرسالة الإسلامية ، كما قال الله جل شأنه ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ (سورة الجمعة ، الآية : ٢) .

وقد عمل المسلمون عبر التاريخ بمبادئ الهدي الإسلامي في هذا المجال ، فأبدعوا تراثا تربويا عظيما ، أثبت جدارته في تخريج الأجيال المتتالية من المؤمنين الصالحين الأقوياء .

واليوم ، وأمة الإسلام تشق لنفسها طريق النهضة والعزة ، تعود التربيةُ لتحتل موقع الصدارة في قضاياها الأساسية ، التي تحتاج من العلماء والباحثين إلى جهود متواصلة ، لتجلية ملامح النهج الإسلامي فيها ، ولتوضيح السبل الكفيلة بتجسيده الواقعي .

وقد سعت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، منذ إنشائها ، إلى أن تكون ، كما أرادت لها الدول الأعضاء ، منارة إشعاع إسلامي ، تنير سبل العاملين في مجالات اختصاصها ، وتقدم خلاصة الجهود الرشيدة لمفكري الأمة وعلمائها في هذه المجالات .

وفي هذا النطاق ، تتشرف المنظمة الإسلامية بنشر هذا البحث القيّم على لطافة حجمه ، وهو من إعداد الدكتور يوسف عبدالمعطي . وقد عالج فيه موضوع تربية المسلم على هدي الشريعة ، في مواجهة تحديات عالم معاصر .

وإني لأسأل الله تعالى أن يجزي المؤلف عن عمله هذا خير الجزاء ، وأن ينفع به أمة الإسلام الناهضة ، وأن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه .

الدكتور عبدالعزيز بن عثمان التويجري

المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة

الرباط - **1995**

تمهيد

فلسفة الإسلام التربوية أم نظرية الإسلام التربية؟ أم مسمى آخر؟ توقفت طويلا عند اختيار عنوان هذه الدراسة ، هل تكون فلسفة الإسلام التربوية أم نظرية الإسلام التربوية؟ فقد اعترض بعض الباحثين على استخدام مسمى «فلسفة» الإسلام التربوية مشيرين إلى أن إطلاق مسمى «فلسفة» على نهج التربية في الإسلام ، باعتباره يمثل في رأيهم انسياقا وراء مسميات نابعة من ثقافات أخرى لها رؤيتها ودلائلها[١] .

فالفلسفة باعتبارها كلمة يونانية تعني حب الحكمة التي تختلف التوجهات في تحديدها بين من يرون أنها العلم بحقائق الأشياء والعمل بما هو أصلح ، ومن يرون الفلسفة مفهوما جامعا لرؤية العلاقات بين عناصر هذا الكون من إنسان وحيوان ونبات وجماد[٢] ، وهي رؤية لمذاهب ، ووجهات نظر في هذه العلاقات .

والفلسفة التربوية - امتدادا لذلك - سوف تكون «الجانب التطبيقي للفلسفة العامة في ميدان التربية»[٣] . فهي تستمد من هذه الفلسفة العامة - بتوجهاتها الكبرى : مثالية أو واقعية أو برجماتية (نفعية) - رؤيتها التربوية ، وهي رؤية بشر في النهاية . ومع أنها قد اتخذت هذه التوجهات الكبرى المعاصرة بتسمياتها ، إلا أنها في الحقيقة تعبير عن هذا القلق والتوزع الذي يتحدث عنه أرسطو منذ أكثر من ألفين وخمسمائة عام في كتابه : «السياسات» ، في الفصل الثاني : «الناس على غير اتفاق بشأن الأمور التي ينبغي أن تعلم . وما إذا كان علينا أن نتطلع إلى الفضيلة ، أو إلى الحياة

الفضلى ، كذلك لا يوجد وضوح حول ما إذا كانت التربية تعنى بالفضائل العقلية أكثر من عنايتها بالفضائل الخلقية . إن واقع الحال مختلط ! ولا يعرف أحد على أي مبدأ يجب أن نسير؟ فهل يجب أن يكون النافع في الحياة هو هدف تدريبنا؟ أم يكون الهدف الفضيلة أم المعرفة العليا؟»[٤] .

أما المعترضون على تسمية «النظرية التربوية الإسلامية» ، فهم ينطلقون في ذلك من أن مسمى «النظرية» أيضا هو تفسير يستمد رؤيته من الفلسفة الكامنة وراءه ويتساءلون : «هل منهج التربية الإسلامية في حاجة إلى نظرية توجهه وإلى فلسفة يستمد منها مفاهيمه ومبادئه مع وجود كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؟»[٥] .

ونحن نتفهم تماما مخاوف تبني تسميات مستقاة من نسق حياة نابع من توجهات وقيم وعادات مجتمعات أخرى ، لا تقوم في نظام حياتها على الإسلام وشريعته . ولكن نود أن نتذاكر أمرين :

أولهما : أننا لا نبتدع فلسفة أو نظرية إسلامية ، بل نحن نقتدي ونتبع منهجا في التربية مارسه بالفعل خير البشر : قدوتنا حتى تقوم الساعة ، رسول الله ﷺ في تربية أصحابه . وكل ما هنالك أننا نصف في إطار تنظيمي هذا النهج مستندين في ذلك إلى كتاب الله وسنة رسوله ، فالشريعة محكمة قائمة بأوامرها ونواهيها وآدابها في توجيه السلوك الإنساني وقيادته . فلا مجال للأخذ بخلفية مثالية أو واقعية في تفسير علاقة الإنسان المسلم بالكون والحياة وبإخوانه أو زملاء رحلته في هذه الحياة الدنيا .

وثانيهما : أن اللغة بتعبيراتها رموز وأدوات اتصال وتواصل بين الناس ، يعتمد

تفسيرها على ما يضفيه الاستعمال على الكلمة والعبارة من معان في كل عصر ، فالفلسفة والنظرية في استعمالها المعاصر لا تقف عند حب الحكمة ولا مذاهبها المحدودة - مقيدة في ذلك بتوجهات مناهج الفلسفة - بل يفهم منها في استعمالنا الحالي : النظرة العامة إلى أصول الأشياء وما وراءها ومنطلقاتها .

والنظرية أيضا بمفهومها الشائع هي الرؤية الكلية التي تنتظم وتفسر علاقات أو جوانب في مجال معيّن ، وليس ما يمنع أن تكون النظرة العامة أو الرؤية الكلية لهذا المجال ولهذه العلاقات والجوانب مستندة إلى كتاب الله وسنة رسوله .

ويستخدم بعض الباحثين مسميات أخر في الإشارة إلى نهج التربية الإسلامية من مثل ركائز التربية الإسلامية[٦] ، مشيرين إلى القواعد والأسس التي تقوم عليها تربية المسلم كما جاءت في الشريعة ، وسيرة النبي ﷺ في تربية أصحابه وما تأسى به ، واقتدى بذلك الصحابة والتابعون . كما يستخدم البعض مسميات «أسس ومبادئ»[٧] في هذا المجال .

أما الحاجة إلى تجلية وشرح وتفسير نظرية الإسلام ونهجه التربوي ، فهي أوضح من أن تقدم بين يديها الدلائل ، بل نراها فرضا وواجبا على علماء المسلمين المتخصصين في شؤون التربية ، ليتوافر للممارسين العاملين في ميدان إعداد الأجيال المسلمة وتنشئتها ، المدخل الذي ينطلقون منه في بناء المناهج وإعداد الكتب وتوضيح طرائق التعليم والتعلم وإعداد المعلمين . فلا يمكن أن نطلب إليهم أن يغوصوا في الشريعة وفي علومها ليستخرجوا المنظومة المنهجية للتربية في الإسلام ، فذلك عمل متخصص لا يفرغ له الممارسون ولا يستطيعون

في الوقت ذاته أن ينطلقوا من رؤية شاملة في مناحي عملهم المتنوعة دون توافره ، ناهيك عما يسهم به ذلك من إعلام وتبليغ لكل العاملين في مجال العلوم التربوية ودراساتها المقارنة من كل الأديان والبلدان .

منهج الإسلام في بناء شخصية الفرد المسلم :

النظام التربوي والتعليمي هو الوسيلة الأساسية لكل أمة ومجتمع إنساني للحفاظ على هويته ، واستمرار وجوده وتواصل أجياله مع تراثهم وحضارتهم ، وفيما بينهم ، ومع واقعهم ، وتجاه عملهم[٨] ، فهو البوتقة التي تصهر فيها أجيال هذه الأمة بدءا من الميلاد - بل قبله باختيار الزوجة الصالحة - وحتى آخر أنفاس الحياة ، كمعدن متميز ، له خصائصه وسماته ومكوناته ، ليكون لهذه الأمة أفراد يلتقون على عقيدة راسخة وفكر مشترك ، ومسلك في الحياة متقارب ، وشعور عميق بالانتماء والوحدة والترابط ، . واستعداد يصل إلى حد بذل الروح وغاية الجهد في سخاء وصدق للحفاظ على هذا المجتمع وحماية حقوقه وأهدافه ، والذود عن حياته ، مع رغبة متوقدة لحمل رسالته للناس في غير استعلاء أو تحيز ، سعيا إلى التعارف والخير بين كل البشر .

والنظام التربوي التعليمي للإسلام يترجم ذلك إلى منهج فكر وأسلوب حياة ، ونظام تنشئة ، ورعاية شريعة هذا الدين ، ورؤيته لعلاقة الإنسان بخالقه ، وعلاقته بأخيه الإنسان ، وعلاقة الإنسان بالكون والحياة .

فعلاقة الإنسان بخالقه في الإسلام علاقة طاعة والتزام بالواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، وحدانية بلا انقسام أو تنازع ، فهو وحده الخالق وكل ما عداه مخلوق .

وعلاقة الإنسان بإخوته في الإنسانية حددها خالقه ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات : ١٣) ، فهي علاقة تراحم وتعارف ، وإيثار وإحسان دون عنف أو إكراه ، بل تعاون على البر والتقوى في أخوة لكل من أعلن الشهادة لهذا الدين ، ودعوة بالحكمة والموعظة الحسنة لكل من سواهم ، علاقة يحكمها معيار أساسي للتفاضل بين كل البشر : وهو التقوى وعمل الخير .

وعلاقة الإنسان مع الكون علاقة سلام ، لا صراع ولا قلق ، فالكون خلقه الله لغاية ، ووفق نواميس دقيقة ثابتة ليس صدفة ولا عبثا : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ﴾ (الأنبياء : ١٦) ، والكون بشهادة الرحمن مسخر لخدمة الإنسان وراحته في حياته : ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾(لقمان : ٢٠) .

والإنسان مدعو من الله إلى التأمل العميق في نظام الكون ، والبحث في أسراره سعيا وراء إدراك القوانين التي تحكم حركته ، والقدرة والإبداع والإحكام المعجز في تنظيمه ، ومطالب بالسعي في مناكب الأرض لاكتساب المقدرة على استثمار إمكانات هذا الكون دون إسراف أو تبذير أو إتلاف لهذه البيئة التي يسرها الله وسخرها له : ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾(يونس : ١٠١) ، ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت﴾ ، (الغاشية : ١٧ – ٢٠) ، ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا ولا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف : ٣١) .

فهذا النهج الرباني في توجيه الإنسان ، ليعيش في سلام مع النفس

بالإيمان بالله القادر ، ومع أفراد المجتمع بالبذل والمحبة والتعاون والشورى ، ومع الكون بالأمان والتفهم والانتفاع الراشد - يعبر عن الركائز الأساسية لمنهج الحياة التي تدعو إليها التربية الإسلامية في توجهاتها لبناء الإنسان ، والمتمثلة في الوحدة والشمول مع التكامل والتوازن(٩) ، مما يحقق للشخصية الإنسانية المؤمنة تكاملا في ذاتها ، وتواصلا مع مجتمعها ، وتفاعلا مع عالمها ، لتنطلق النظم التربوية من هذه الأسس في معاونة الفرد المسلم : إعدادا لذاته وتوجيها لمسلكه ، ورعاية لأسرته ، وتعاملا مع أفراد مجتمعه ، وقياما بحق هذا المجتمع عليه ، ونهجا في علاقاته مع المجتمعات الأخرى .

التربية فريضة إسلامية :

المسلم مسؤول مسؤولية شخصية عن طلب العلم الذي يمكنه من أن يقيم حياته وفقا لشريعة الله وهديه : في عقيدته وسلوكه وتعامله ، وليسهم مع سائر المؤمنين وولاة الأمر في إقامة مجتمع يطبق في نظمه ، وتشريعاته ، ومؤسساته ونهج الحياة فيه ، هدى الشريعة الإسلامية . ومن هنا قرر الإسلام أن «طلب العلم والسعي إليه فريضة على كل مسلم» (من حديث أنس عن رسول الله ﷺ ، رواه البيهقي وابن ماجة) . والمسلم مسؤول عن توفير التربية والرعاية لأولاده ومن هم في رعايته وولايته ، بما يمكنهم من القيام بتكاليف هذا الدين . ويوضح الرسول الكريم أثر الوالدين في تنشئة أولادهم «كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» ، (رواه الطبراني والبيهقي وخرجه السيوطي بسند صحيح) .

وإذا كان طلب العلم فريضة على كل مسلم ، فإن توفير العلم الذي لا تقوم أمور الدين والدنيا إلا به ، قد تجاوز نطاق قدرة الفرد المسلم وإمكاناته ،

حيث أصبحت المعارف والمهارات والخبرات المتصلة بذلك على قدر من التخصص ، مما فرض إسنادها إلى مؤسسات ومتخصصين ، وأصبح إعداد المسلم إعدادا متكاملا ، أمرا لا يتحقق إلا إذا شارك المجتمع في تحمل مسؤولياته ، مما يجعل التربية فريضة إسلامية ، فالطفل المسلم الذي يولد على الفطرة يحتاج - في عالم اليوم بتحدياته وصراعاته - إلى تهيئة البيئة التربوية المحيطة به من الأسرة والمدرسة والمؤسسات المختلفة في تعاون وتآزر ، لتوفر له التربية الإسلامية التي تصون هذه الفطرة وتنميها ، وإلا فإن هذه القوى والتيارات المعادية قد تطمس هذه الفطرة ، أو تحول اتجاهها . فعلى المسلم أن يطلب العلم لنفسه ولمن في ولايته ، وعلى مجتمع المسلمين أن يحشد كل إمكاناته وقدراته ليوفر له السبيل على نحو يكفل إعداد أجيال المسلمين وتربيتهم تربية إسلامية ، وينميهم إلى أقصى ما تسمح به قدراتهم ، حيث الانحراف عن الفطرة يرجع إلى الظروف البيئية غير الملائمة التي تقع مسؤولية تهيئتها على المسلمين(١٠) .

ويورد القرضاوي في دراسته عن مبادئ وقيم للتعليم في ضوء السنة العاطرة ، تحت عنوان «تكافل المجتمع في تعليم أبنائه» ، أن المسلم مسؤول عن تعليم أقرب الناس إليه ، ثم من يليهم ، ثم من بعدهم . ويرى أنه يأتي بعد حق الأهل والولد ، الأقارب والجيران والخدم ، وإن كانوا رقيقا . ويروي حديث البخاري في باب «تعليم الرجل أمته وأهله» ، ويرى أن الوصايا النبوية المؤكدة ، إلى جوار ما في القرآن الكريم ، تجعل كل مجموعة سكنية . قرية كانت أو حيا من الأحياء - وحدة مترابطة في السراء والضراء في المجالين المادي والمعنوي ، ويروي من نهج رسول الله ﷺ ، ما يؤكد ذلك فيما روي عن علقمة بن سعيد بن عبدالرحمن بن . . . عن أبيه عن جده قال : «خطب

رسول الله ﷺ ذات يوم ، فأثنى على طوائف من المسلمين خيرا ثم قال : ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم؟ وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتعظون؟ والله ليعلمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم ويأمرونهم ، وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتعظون أو لأعاجلنهم العقوبة ثم نزل» . وقد علم هؤلاء المقصرون بما قاله رسول الله ﷺ بشأنهم ، فهرعوا إليه ، فأمهلهم سنة ليفقّهوا جيرانهم ويعلموهم(١١) .

فالرسول ﷺ لم يقر قوما على الجهالة بجانب قوم متعلمين .

واعتبر بقاء الجاهلين على جهلهم وامتناع المتعلمين عن تعليمهم عصيانا لأوامر الله وشريعته .

واعتبر هذا العمل «عدوانا» و«منكرا» حين قرأ على هؤلاء المقصرين قول الله عز وجل : ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (المائدة : ٧٨) .

وأعطاهم مهلة عام واحد للقضاء على الجهالة ومداواة التقصير .

من هذا المنطلق نعرض فيما يلي أبرز الخصائص والأسس التي تقوم عليها التربية الإسلامية لتكون الإطار المرجعي الذي ننظر من خلاله إلى نظمنا التعليمية ، محاولين أن نتعرض إلى أي مدى استطاعت أن تترجم في أهدافها وهيالكها وطرائقها محتوى هذه الخصائص ، ونتعرف الفجوة بين ما دعانا الله لإقامته من تربية لأمة الإسلام ، وما استطعنا تحقيقه ؛ لتتساند جهودنا بالبحث والعلم والعمل المشترك على تطويرها .

الفصل الأول

الخصائص الأساسية للتربية الإسلامية

خصائص التربية الإسلامية وسماتها الأساسية

* إن أول خصائص التربية الإسلامية وسماتها أنها تربية تقوم على الإيمان ، فالطفل المسلم ينشأ في مجتمع غايته وهدفه : عبادة الله وطلب رضاه .

هذا الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، المستند على نظرة شاملة للكون والحياة والإنسان ، تقوم على الوحدة والتكامل والشمول ، لا يقف عند حدود الترديد اللفظي أو الاكتفاء بالتصديق القلبي ، والصلة بين العبد وربه ، بل هو إيمان يمتد ليجعل الحياة كلها رحلة عبادة ، فكل حركة أو سكون يمارسهما المسلم مع نفسه أو غيره أو بيئته أو عالمه ، مقبلا بفعله على ما أحله الله ، معرضا عما حرمه ، ملتزما بما أمره من عبادة هي ترجمة لهذا الإيمان .

فالتربية على الإيمان من هذا المنطلق تختلف تماما عن مفهوم التربية الروحية في الثقافات والتفسيرات التي تقدم عن الأديان الأخرى ، وعن مناهج التربية الغربية المعاصرة التي تقف بالإيمان عند حدود الغيبيات ، وشعائر العبادات وطقوسها ، فتقسم الحياة بذلك إلى نصفين :

قسم يتعلق بالله وعبادته وشعائره ، وترقية الروح والسمو بها ، وهو ما يختص به الدين والإيمان عندهم .

وقسم يختص بأمور الكون والحياة والمعاملات والناس والممارسات

اليومية ، يهتدي فيها الإنسان وينطلق من تجربته وحدها ، ويسلك فيها بما يكتشف نفعه ، دون أن يقيده أو يحكمه في ذلك هدي إلهي .

وهذا النهج التربوي هو الذي أوجد التفرقة الشائعة ، والحاجز المانع بين الدين – المنحصر عند هؤلاء – في أمور النفس والروح ، وبين العلم المتصل بأمور الكون والحياة والناس ، هذه التفرقة التي تركت الإنسان قلقا وحيدا : صلته بالكون وبعالمه صلة «صراع» . فهو يسعى بالعلم لأن «يقهر» الطبيعة . وهو لا يربط بين إيمانه – إن وجد – وحياته وممارساته . بينما يتربى المسلم وينشأ على الإيمان بأن الله خلقه وسخر له الكون وأسجد له الملائكة . فالكون والحياة والإنسان ، يديرها خالق واحد لغاية منسجمة متآزرة[١٢] ، فكل شيء في هذا الكون يدين له ويسبح بحمده ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ (الإسراء : ٤٤) ، في علاقة ترابط وانسجام وأمن ، فلا قلق ولا صراع ولا ضياع مع الإيمان .

ونقارن هذا التسبيح الشامل للكون والخلق ، وهذه السكينة والأمن في قلب المؤمن وعقله وسط هذا الكون الجبار ، مطمئنا إلى رعاية الله وتوجيهه ، الذي سخر الكون لخدمته ، بالقلق والضياع الذي يعبر عنه برتراند رسل في كتابه «العلم والدين» ، والذي يناقشه جون ديوي في كتابه «فلسفة التربية»[١٣] . فبرتراند رسل يرى أن الصراع التاريخي بين الدين والعلم منذ القرن السادس عشر ، كان صراعا حول مصدر السلطة[١٤] ، التي تشكل المعتقدات والقيم والمبادئ . وإن التساؤل ما يزال يبحث عن جواب : هل يجوز وكيف يوفر المنهج العلمي القائم على استخدام الذكاء الإنساني في أسلوب تجريبي ، ذلك السلطان الذي يرجع إليه المرء في رضى واقتناع ، متقبلا قيمه وتوجيهه؟ فالعلم لا يدعي ملكيته الحقيقية الكاملة لما هو حق وباطل ، فهو منهج في البحث لا يدري إذا بدأ ، ماذا يتوصل إليه في النهاية ، فالضياع قائم متزايد .

*** وثاني خصائص التربية الإسلامية أنها تربية تقوم على التكامل :**

فهي تسعى لتنشئة الفرد من جميع نواحيه الروحية والعقلية والجسمية والإنسانية ، في تكامل ودون تمييز . وهي إذ تهتم بصفاء روحه ، لا ترى أن يتم ذلك في رهبانية أو بمعزل عن الناس أو انزواء عن المجتمع ، بل تربط صفاء الروح والنفس بالمسارعة في عمل الخيرات والبذل للناس والسبق في ذلك ، فالرقي الروحي وعمق الاتصال بالله سبحانه لا يتم إلا بعبادة الله وخدمة الناس ، والمسلم يربى على النهج المتكامل بسلوك محدد وآداب مرسومة ، عليه الالتزام بها كجزء من دينه ، وواجباته نحو ربه باعتبارها عبادة في الوقت ذاته . فهو في رعاية جسمه مطالب بالاغتسال والوضوء ، ونظافة البدن والثوب . وهو في تناول الطعام مطالب بآداب ومبادئ يدعو إليها القرآن وتُفَصِّلُها السنة ، تدعوه إلى الاعتدال وعدم الإسراف في طعامه وتحرم عليه الخبائث من الطعام والشراب وتحبب إليه آدابا في التناول : أن يأكل مما يليه ، ويحسن المضغ ، ولا ينفخ في الطعام ، وهو يربى على أن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، فيقبل على ما فيه تنمية لجسمه ورعاية لصحته ، ويسارع إلى التداوي عند المرض «تداووا عباد الله ، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء ، غير داء واحد هو الهرم» (رواه الإمام أحمد وابن حبان والحاكم) .

والتربية العقلية وسيلة الإسلام لغرس الإيمان ، فقد أشاد القرآن الكريم بالعقل معولا عليه في أمر العقيدة والتكليف . ووجه الخطاب في الدعوة إلى تفهم آياته وإدراك حكمة الخالق في الحياة ، وحركة التاريخ وعبرته في حوالي (٤٩) موضعا من آياته إلى الذين يعقلون ، وأكد أنهم المعنيون بما فصل من آيات ﴿**كذلك نفصّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ (الروم : ٢٨) . ورفع المسؤولية عمن حرم نعمة العقل فأسقط عنه التكليف .

ويرسم لنا الإسلام السبيل إلى الإيمان واستعمال العقل في إدراك الحقائق بالنظر والتأمّل ، ويوجه المسلم إلى أن يقرأ كتاب الله وكتاب الكون :

«فالكون هو الكتاب المفتوح لقراءة صفحات الله وقدراته ، ففيه يقرأ المسلم أفعال الله وصفاته التي تجسدها دقة الخلق والتكوين وإبداع التكامل ، فيكشف بعقله وكيانه مظاهر قدرة الله وكماله . فالوحي والكون جزءان في سفر واحد : أحدهما يقدم آيات الله في كتابه المحكم ، والثاني يقدم آيات الله في الآفاق والأنفس[١٥] . بل هو مطالب تعزيزا لإيمانه أن ينظر متأملا في أصل وجوده ﴿فَلْيَنظُرِ الإنسانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ (الطارق : ٥) ، ونحن مدعوون أن نعين المسلم على أن يقرأ الكون بأحيائه وأجوائه وسمائه وأرضه : ﴿**أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت**﴾ (الغاشية : ١٧ - ٢٠) . ﴿ **إنَّ في خَلْقِ السَّمَـوَاتِ والأَرْضِ واخْتلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ**﴾ (آل عمران : ١٩٠) . والتربية على الملاحظة والتأمل والنظر إلى الظاهرة بحثا عما وراءها ، منهجية في التفكير والسلوك العقلي لا تقوم إلا بتربية تبدأ منذ الطفولة المبكرة بالتدريب على الملاحظة للظواهر ، والتأمل والتسجيل وحصر المتشابهات والوصول إلى النتائج وتحقيقها ، وهنا يأتي دور التربية الإسلامية ومسؤولية الأسرة والمدرسة والأمة التي تصون عقول أجيالها من قلة الاستعمال أو سوئه ، وتعمل على تنمية التفكير والنظر ، وتوافر الصيغ التعليمية المناسبة والمناخ والأساليب ونوعية الرعاية التي تعمل على إرساء هذه الاتجاهات وتنمية هذه العادات والمهارات .

فإذا كان التأمل والنظر والتفكير منهجا أساسيا في ديننا للإيمان ، فلم لا نرى في مناهجنا موضعا واضحا لتعليم مهارة التفكير ، ولها اليوم طرائق ومناهج؟ ![١٦] ، وأين تعليم الحكمة التي أعظم القرآن شأنها؟[١٧] . والآيات

القرآنية الداعية إلى التأمل والنظر تطالب دائما - بعد التوجيه إلى دراسة الشيء - بأن يكون هناك قصد إلى إدراك حكمته ومنافعه وما يدل عليه من إبداع وإحكام . وهي نتائج لا يصل المرء إليها من خلال النظرة العابرة ، فهي دعوة إلى البحث والتفصيل والدراسة التي تمتد من الظاهرة إلى ما وراءها ، فتتكون لدى المرء المبادرة والقدرة على الاختراع والابتكار ، كما يمتلئ قلبه باليقين في وجود إله قادر منعم ، ينظم هذا الكون بدقائقه ، في إعجاز وتناغم ، ويسخره للإنسان فيستشعر جلال النعم وواجب الشكر ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (٣٤) لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلا يَشْكُرُونَ (٣٥) سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ﴾(يس : ٣٢ - ٣٦) .

وهي تربية ترفض الظن وتطالب دائما بالدليل ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾(يونس : ٣٦) ، ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (النمل : ٦٤) ، وهي تربية تعرف حدود العقل دون أن تنقص من قدره ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ (الإسراء : ٣٦) .

وهي تربية تدعو العقل إلى الإحصاء والتقدير الكمي والوزن الدقيق للأمور ، فلا تكتفي بالأحكام العامة ولا التقدير الجزافي ، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾(يس : ١٢) ، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر : ٤٩) ، ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ (المطففين : ١ - ٣) . وهي مهارات تحتاج إلى تدريب مبكر على

التقدير بالنظر والتحقق من دقته بالقياس ، واعتياد وصف الأشخاص بالوزن والطول بدلا من الألفاظ العامة التي لا تعكس تربية كمية .

وهي تربية تراعي المستوى العقلي للمتعلم ، فتقدم إليه من المعرفة ما يلائم مستوى قدراته ، فقد أمرنا رسول الله ﷺ أن نكلم الناس على قدر عقولهم : «وما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة» (رواه مسلم) ، «حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يُكَذَّبَ اللهُ ورَسُولُهُ؟»[١٨] ، وهو ما نطلق عليه مراعاة الفروق الفردية وندعو إليه دون أن يترجم ذلك في كتبنا وطرائقنا في توجيه للجميع .

ويولي الإسلام التربية الاجتماعية للفرد عناية فائقة ، فهو يعلمنا أن هدف الرحلة الإنسانية تعارف ومودة ، ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لتعَارفُوا**﴾ (الحجرات ١٣) ، ويدعو المرء للبحث عن الصحبة الطيبة والاستمرار معها ﴿**وَاصبِرْ نَفْسَكَ مَع الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عيْنَاك عَنْهُمْ**﴾ (الكهف : ٢٨) ، ويربينا على الآداب[١٩] التي تحفظ وحدة الجماعة وتماسكها من النهي عن الغيبة والنميمة ، والأمر بالإيثار ، والصدق ، والتواضع ومراعاة مشاعر الآخرين ، ووزن الكلمة قبل إلقائها . قال ﷺ : «من كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت» (رواه ابن ماجه) . ويعلمنا آداب الحديث من خفض الصوت ، ﴿**وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ**﴾ (لقمان : ١٩) ، وحسن الإنصات وآداب الزيارة ودخول المساكن ومراعاة الجار . ويحبب إلينا السعي لخدمة الآخرين وقضاء حوائجهم : «كان ﷺ لا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين والعبد حتى يقضي له حاجته» (رواه ابن ماجة في السنن) .

ولا تقف التربية الإسلامية في جانبها الاجتماعي عند تنشئة الفرد وإعداده عند حدود قومه ووطنه ، بل تفتح عينه وقلبه على العالم والإنسان ، فتنال التربية الإنسانية جانبا واضحا من إعداده ، فهو مطالب أن يبلغ رسالة الله إلى كل الناس أو يعين على تبليغها إن استطاع ، ويؤمن بأن تقديم الخير لكل حي حتى الحيوان ، هو موضوع ثواب وأجر «في كل ذات كبد حراء أجر» (رواه الإمام أحمد) .

*** وثالث خصائص التربية الإسلامية أنها تربية عملية تطبيقية تقوم على الممارسة :**

ويمثل هذا الجانب جوهر هذه التربية ومحك نجاحها ، فالإيمان تصديق بالقلب . ولكن ما وزنه إن لم ينعكس على سلوك الفرد؟ ومن هنا أعلن القرآن المقت والكره لكل لفظ يردد بلا سلوك يمارس : ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾(الصف : ٣) . وارتبط الإيمان دائما في القرآن بالعمل الصالح .

والتربية الإسلامية تسعى إلى أن يتحول الإيمان والفكر والخلق الإسلامي إلى واقع حي ، يمارسه الناس وينتفعون به في صلاح أنفسهم ومجتمعهم .

والتربية الإسلامية التي تعد الفرد لعمارة الحياة حتى اللحظة الأخيرة من حياة الكون وحياة الفرد ، كما يدعونا رسول الله ﷺ : «إذا قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة ، فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليفعل» (رواه الإمام أحمد في مسنده) . هذه التربية لا بد أن تهيئ الفرد المسلم بالمهارات التي تعينه على المساهمة في ذلك وكسب عيشه ، ومن هنا نجد أن الرسول ﷺ استعاذ من علم لا ينفع . وبشر القرآن من عمل صالحا بالمغفرة والأجر

العظيم ، والعمل الصالح يشمل كل عمل نافع للفرد والمجتمع والإنسان بعامة في دنياه وآخرته .

ويحتل العمل والإعداد المهني له مكانة رفيعة في التربية الإسلامية باعتبارها الوسيلة لإعداد الفرد للكسب من عمل يده ، وهو ما يراه رسول الله ﷺ «ماكسب الرجل كسبا أطيب من عمل يده» (سنن ابن ماجة) . والقرآن يوضح لنا أنه جعل الأرض ذلولا مطواعة للإنسان وعليه أن يسعى في جوانبها ليأكل من رزقه ، وهو يحتاج في ذلك إلى مهارات ، وهذه المهارات تحتاج إلى التعاون من أجل توفير فرص تعلمها واكتسابها في مجتمع المسلمين ﴿هُوَ الَّذِي جعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ (الملك : ١٥) .

وقد اعتبر علماء المسلمين المهن اللازمة لحياة الإنسان من فروض الكفايات التي إذا توافر من يقوم بها ، سقط التكليف عن مجموع الأمة ، وإذا خلت البلد أو نقصت ممن يلزم منهم أصبح القيام بها فرضا ملزما حتى تستوفي الحاجة إليها .

ويرى الغزالي أن المكلفين بهذه العلوم كالمكلفين بالثغور المرابطين لها ، والغزاة المجاهدين في سبيل الله[٢٠] .

وتهتم التربية الإسلامية بالتربية من أجل الإتقان ، وبالتالي العمل ، مع اكتساب المتعلم تلك المهارات اللازمة لذلك ، مصداقا لتوجيه رسول الله ﷺ «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه» (رواه الطبراني) ، أي يستخدم أقصى درجات المهارة والعناية في أدائه . فالعامل المسلم يرى الله في عمله أو يؤمن بأن الله يراه[٢١] ، والإتقان ركيزة أساسية في الإعداد المهني ، بل في

تكامل شخصيته باعتبارها تعبيرا عن نزعته الفطرية إلى الإحسان والكمال .

وتؤكد التربية الإسلامية على العلاقة بين العمل ونتائجه في قانون يقرره الله سبحانه في قرآنه ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَىٰ﴾ (النجم : ٣٩ - ٤١) . فكل جهد يبذل ، وكل عمل يقدم مهما تضاءل وصغر ، سوف يحصد الإنسان نتائجه ، إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾(الزلزلة : ٧ - ٨) ، وكل ما هو مطالب به هو أن يبذل طاقة واسعة في الإنفاق والإحسان لما يعمل ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ (البقرة : ٢٨٦) ، وأن ثواب العمل في الدنيا حياة طيبة وفي الآخرة الجزاء الأوفى ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل : ٩٧) .

وتقدم التربية الإسلامية أساسا لا تقوم الحضارة الحقة بغيره ، وتغرسه في عقول المسلمين ونفوسهم منذ الطفولة ، وهو أن نتائج العمل الصالح المفيد تتعدى الكسب المادي الذي يحصل عليه الفرد ، ليمتد ثوابها وأجرها إلى كل من انتفع بها من إنسان أو حيوان «لا يغرس مسلم غرسا ، ولا يزرع زرعا فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا شيء ، إلا كانت له صدقة» (رواه مسلم) ، مما يخلق لدى الفرد المسلم دافعية لا نظير لها لمضاعفة الجهد والعمل والإنتاج والإتقان .

*** ورابع خصائص التربية الإسلامية أنها تقوم على العلم :**

فقد اختار الإسلام منهجا في الدعوة إلى الإيمان وتربية الفرد ، يقوم - كما أسلفنا - على التأمل والنظر في الكائنات جميعها بحثا عن ماهياتها ،

ومحاولة لتفهم نظامها وسعيا لإدراك القوانين التي تحكم مسيرتها بدءا بالنفس ﴿وفِي أنفُسِكُمْ أفَلا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات : ٢١) ، وامتدادا إلى الكون كله بما فيه ، ويحصي المفسرون أكثر من سبعمائة وخمسين آية صريحة تتعلق بالعلوم الكونية ، ومثل هذا النهج لا يتحقق إلا بالعلم والتعلم الذي منحه الله أعلى منزلة ، ورسم سبلا متنوعة للتشجيع على الإقبال عليه وتنميته وإذاعته وتسييره للكافة . فقد رفع الله شأن المشتغلين بالعلم ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة : ١١) ، وميزهم عن سواهم ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يعْلَمُونَ والَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر : ٩) .

وبين لنا أن أكثر الناس خشية وتقى هم الذين يستندون في ذلك إلى علم ويقين ﴿إِنَّمَا يخْشَى اللَّهَ منْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر : ٢٨) ، وحث المؤمنين ووجههم إلى سؤال العلماء ﴿فاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل : ٤٣) ، وربط إدراك الأمور وعقلها والوعي بمقاصدها وتفسيرها بالتمكن من العلم والرسوخ فيه ﴿وما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾(آل عمران : ٧) ، وهم المدركون للمثل وما وراءه من حكمة ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾ (العنكبوت : ٤٣) .

وأحاديث رسول الله ﷺ حول العلم ودوره ومكانته وفضل العلماء ، وافرة مشهورة ، تؤكد أن التماس تحصيله هو السبيل إلى الجنة «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهَّل الله له به طريقا إلى الجنة» (رواه مسلم) ، وأن الاشتغال به من أعلى مراتب العبادة «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم» ، ثم قال ﷺ : «إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض ، حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير» (رواه الترمذي) ، وأن العلماء امتداد هدي الأنبياء إلى الناس «العلماء ورثة الأنبياء» (رواه أبو داود

والترمذي وابن ماجة وابن حبان) .

وحث الإسلام الإنسان على السعي لطلب العلم ولو كان بعيدا عن قومه ﴿فَلَوْلا نفرَ من كُلِّ فِرْقة مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ (التوبة : ١٢٢) ، وطلب رسول الله ﷺ من أهل البلاد التي يفد إليها طلاب العلم أن يسهلوا لهم سبل التعلم : «سيأتيكم أقوام يطلبون العلم ، فإذا رأيتموهم فقولوا لهم مرحبا بوصية رسول الله وأقنوهم» أي أرضوهم وأعينوهم (رواه ابن ماجة) . وتوعد بالعذاب من كتم العلم عن غيره «من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار» (رواه الإمام أحمد في مسنده وخرجه السيوطي بسند صحيح) ، ودعا كل مسلم وليس فقط أصحاب مهنة التعليم أن يتعلموا العلم ويعلموه : «تعلموا العلم وعلموا الناس» (سنن الدارمي) ، وقد أشرنا إلى مطالبة رسول الله ومحاسبته من تركوا جيرانهم دون أن يعلموهم .

تلك دعوة إلى أن يتحول مجتمع المسلمين إلى معلمين أو متعلمين . وتشير إحصاءات الأمية اليوم إلى تركزها في بلاد المسلمين ، وبخاصة بين الإناث وبين الفئات الأقل حظا اقتصاديا . ورسول الله ﷺ يوصي الناس أن يعلموا أهليهم وخدمهم وبخاصة الإناث منهم : «ثلاثة لهم أجران أحدهم رجل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها» (رواه البخاري) .

ولما كانت القدوة أبلغ أساليب التعلم ، فقد دعا الإسلام كل من تعلم علما أن يعمل به ، وربط دائما بين العلم والإيمان والعمل . وأرسى الإسلام في تربية المؤمنين منهج العلم داعيا إلى اليقين دون الظن ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (النجم : ٢٨) ، والسعي وراء البرهان والدليل ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صادِقِينَ﴾ ، (البقرة : ١١١) وحذر من الابتعاد عن الموضوعية والحيدة واتباع

هوى النفس ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام : ١١٩) .

ولم يقبل ما نقبله في تعليمنا اليوم من التلقين والترديد والاكتفاء بأدنى مستويات المعرفة ، وهو التذكر والحفظ ، بل دعا في تحصيل العلم إلى معرفة ماهيته والتعامل في صنعه ونفعه ، والتأمل في إبداعه وحكمته ، فهو يربي المسلم على الرؤية العلمية والنظرة النافذة والتحليل والربط والتوظيف للمعرفة ، انظر كيف يدعونا القرآن إلى رحلة تأمل في الوجود بخلقه وسماته وأرضه وثمره وبحره ونهاره وليله ، داعيا إلى تأمل علاقة الإنسان بذلك كله : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم : ٣٢ - ٣٤) . ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يس : ٣٧ - ٤٠) .

هذه التربية العلمية التأملية لا تقف عند الحقيقة الجامدة ، بل تؤكد أن الإنسان محور الكون يرتبط كل علم بسعادته وارتقائه ، لا بتدميره وهلاكه ، وتلك هي الإنسانية العلمية في التربية الإسلامية التي تنادي بها التربية اليوم في مواجهة تحديات الاستخدام المخيف للعلم والتكنولوجيا .

وتؤكد التربية الإسلامية انطلاقا من ذلك على أن يكون تحصيل العلم للحقيقة والنفع للناس ، لا للمباهاة التي قد تدفع إلى الزيف أو المغنم الذي يمكن معه الانحراف «لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ، ولا لتماروا به

السفهاء ، ولا تخيروا به المجالس ، فمن فعل ذلك فالنار النار» (رواه ابن حبان في صحيحه عن جابر بن عبدالله) ، ولا تخيروا به المجالس : أي لا تختاروا به خيار المجالس .

والتربية الإسلامية توجه المسلم إلى البحث عن الحق والحقيقة أيا كان مصدرها ، فالحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق الناس بها[٢٢] ، وقد احتضنت الحضارة الإسلامية كل نافع من حضارات الأمم السابقة وقامت بتعليمه في مساجدها ومدارسها ، وترجمت هذه الحضارات وأضافت إليها وطورتها .

* **وخامس خصائص التربية الإسلامية أنها تربية مستمرة تصاحب المرء على امتداد رحلة الحياة .**

فالإسلام يربي المؤمن على أن يدعو الله لأن يزيده من العلم ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾ (طه : ١١٤) ، ويقرر الإسلام أن ما يحصله البشر من المعرفة ليس إلا أقلها ، وهناك المزيد ﴿**وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ (الإسراء : ٨٥) ، وأنه مهما ارتفعت مكانة المتخصص في علم من العلوم ، فإن هناك من هو أعلم منه ، ربما في زمن آت ﴿**وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**﴾ (يوسف : ٧٦) ، وكل ذلك يؤكد في وعيه وإدراكه أن المعرفة الإنسانية لا حدود لها ، وأن على المسلم أن يواصل تحصيلها في رحلة حياته . وتحصيل العلم في الإسلام لا يرتبط بسن ولا ينتهي عند مرحلة ، فوقت العلم كما فهمه عالِم التربية الإسلامية ، برهان الدين الزرنوجي في القرن السادس الهجري[٢٣] ، هو من المهد إلى اللحد ، ويضرب المثل بالفقيه الحنفي المشهور الحسن بن زياد الذي دخل التفقه وهو ابن ثمانين سنة .

والتعلم والتعليم في الإسلام لا يقتصر على المدرسة مكانا ووقتا ، بل يتم

التعليم وسط الأسرة التي تقع عليها المسؤولية الأولى في توجيه الأبناء «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» (رواه أحمد في مسنده والبيهقي وأبو داود والترمذي) . كما يتم التعليم مع الأصدقاء ، في السوق وفي المسجد ، والمجتمع الإسلامي مجتمع عبادة وتعلم ، في كل ركن منه تتآزر كل مؤسسات المجتمع على تنشئة الإنسان الصالح .

وفي عصرنا الذي تتفجر فيه المعرفة وتتنامى ، وتتسع الفجوة يوما بعد يوم بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، حيث أصبحت المعرفة أقوى أسلحة السيطرة والغلبة حتى أطلق عليه عصر المعلومات[٢٤] ، تصبح مسؤولية المجتمع الإسلامي أن يوفر لأبنائه - الذين يلزمهم الإسلام بالسعي لطلب العلم - فرص والحصول على العلم النافع ومجالاته على النحو الملائم لظروفهم : طلابا متفرغين ، أو جامعين بين العمل والدراسة بما يمكنهم من مواصلة التعلم الفعال في رحلة الحياة .

*** وسادس سمات التربية الإسلامية أنها تربية ترسي أخلاقيات العمران والتنمية :**

فالإنسان خليفة الله في الأرض ﴿**إني جاعل في الأرض خليفة**﴾ (البقرة : ٣٠) ، سخر له الرحمن كل ما حوله لإعانته على القيام بمهام هذه الخلافة على النهج الذي اختاره له الله وأكمله ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾ (المائدة : ٣) ، ليقيم مجتمع التعارف والمودة والتراحم والعمران . وإذا كان الإنسان خليفة فهو مؤتمن على ما استخلف عليه ؛ تقع عليه مسؤولية تنميته وازدهاره ، والوصول به إلى أقصى ما يسمح به كماله . والمسلم يربى على أن كل ما وفره الله له في هذا الكون تيسيرا

لحياته وتلبية لاحتياجاته ، إنما هي نعم تستوجب الشكر الذي يعبر عنه المسلم بحسن الاستخدام والرعاية والبعد عن الإسراف والإتلاف ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ (الأعراف : ٣١) ، ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (الإسراء : ٢٩) ، ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ (الإسراء : ٢٧) .

وينشأ المسلم على وعي شديد بالوقت وقيمته وبالدقة في المحافظة عليه ، فلكل صلاة من الصلوات الخمس في اليوم ميقاتها المحدد ، الذي إذا سها عنه المسلم أو انقضى وقتها دون أدائها وقع في عظيم الإثم ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ (الماعون : ٤ - ٥) .

والمسلم مستخلف أيضا على فترة عمره وحياته ، فالحياة هي الزمن المقرر لإثبات صدق طاعته لربه من خلال نوعية استغلاله واستثماره له ، ومدى الالتزام خلال هذه الفترة في كل عمل وسلوك بما رسم الله من أعمال لصالح الفرد ونفع المجتمع ، ترصد خلالها كل أعماله ثم يأتي حسابه في النهاية : عن عمره فيما أنفقه ، وعن ماله كيف تصرف فيه **﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾** (الزلزلة : ٧ - ٨) . وصدق رسول الله ﷺ : «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه ، وعن علمه فيم فعل ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن جسمه فيم أبلاه» (رواه الترمذي وصححه) .

فالتربية الإسلامية تركز على تعميق إحساس المتعلم بالمسؤولية الاجتماعية الناجمة عن أعماله وممارساته ، وما قام به وما تخلى عنه ، ووزن ذلك كله بميزان أثره في خير نفسه وخير الآخرين ، ونبذ النزعات الاستهلاكية المفرطة ، والمساهمة

في حل مشكلات المجتمع الإسلامي بالعمل الفكري أو الاجتماعي .

والتربية الإسلامية توجه الفرد والجماعة في مجال العلاقات الاجتماعية المتصلة بالأسرة والمجتمع والإنسانية ، إلى العطاء والبذل ومحاسبة النفس عن مدى القيام بالمسؤولية تجاه الآخرين ، فهي تركز على واجب البذل والعطاء أكثر من تركيزها على المطالبة بحقٍّ هو للإنسان نفسه ، وتكون النتيجة هي المودة والأخوة والتراحم ، وما يؤدي إليه ذلك من التحام الجماعة وتماسكها وهو أساس العمران والاستقرار .

وهي تربية تختلف عن تلك التي تنظر إلى المجتمع كحلبة صراع بين طبقات ومصالح وحقوق لكل طائفة ، يبحث فيها كل فرد ومجموعة عما يأخذه ، قبل أن يبحث عما يجب أو يمكن أن يعطيه ، كما تختلف عن تلك التي تنشئ الفرد على حب الغلبة والتفوق على الآخرين وتجعل الحلم الوطني هو تحقيق الفرد أقصى المكاسب(٢٥) .

فالمسؤولية إذن هي ثمرة للتربية الإسلامية أكثر من كونها واجبا مفروضا على الإنسان من خارج نفسه بسلطة ما ، فهي توجد بقدر ما تستطيع تلك السلطة والقوانين ضمان القيام بها ، بل هي دافع ينبع من داخل النفس ؛ يجد المرء معها السعادة في أن يعطي من نفسه وحياته ومتعته واهتماماته ومعرفته ، ومن كل مكونات الحياة في وجوده ليشيع الخير والحياة في وجود الآخرين .

فالعمران والتنمية ثمرة لتربية استطاعت أن ترسي في كل عقل وقلب رؤية صحيحة متكاملة متجانسة للكون والحياة وما بعد الحياة ، توقد في كل نفس طاقة الإيمان الحي الذي يترجم هذه الرؤية إلى سلوك يومي مصاحب لرحلة الحياة ، يكون معه الشوق الدائب إلى المعرفة والعلم والإنتاج والعمل والعطاء والبذل والود والتراحم والتكافل ، إيمانا ويقينا بأن الرحلة الإنسانية على

هذا الكوكب إنما هي رحلة التعاون لإقامة نوعية حياة أفضل ، تكون الرصيد لخلود دائم .

*** سابع خصائص التربية الإسلامية التوازن والوسطية والاعتدال :**

توازن بين طاقة الجسم وطاقة العقل وطاقة الروح ، فالتربية التي ركزت على الجسم أو القوة وحدها ، أنشأت مجتمعات عبدت القوة ، فكانت وبالا على قومها وشرا أصاب غيرها . وتوازن بين ماديات الإنسان ومعنوياته ، فالزكاة عبادة ، أي هي التنظيم الاقتصادي الذي يجعل للسائل والمحروم حقا في مال أخيه الغني ، ويعتبر سد حاجات الآخرين بالصدقة من فائض المال طهارة وتكفيرا ، ويجعل العلاقة بين المادة والروح في توازن إعجازا من توجيه الله الحكيم ، توازن قامت به في مجتمعات المسلمين الإنسانية الاقتصادية ، فلا يعيش الإنسان في إطاره المادي ساعيا للاكتناز ، دائرا حول مصالحه ونفسه ، بل موقنا أنهٰ قائم على رعاية هذا المال الذي هو منحة من الله ، عليه أن يديره بالحكمة والتوازن . وتوازن بين ما رسمه الله من حدود لهذا الإنسان لا يتجاوزها ، وما تدفعه إليه شهوات نفسه ورغائب قلبه ، وتوازن بين الفردية والجماعية ، فالمجتمع لا يسحق الفرد ، فالشورى حقه ، والكرامة مقررة له من ربه ، فلا يهان ولا يذل ولا يفزع ولا يرهب ، وجماعة المسلمين إخوانه ، صلاح أمرهم صلاح لنفسه ولدينه ، فهو يسارع إلى ما ينفعهم ولا يرى نفسه منفصلا عن خير يتحقق لهم ، بل يطالبه الله بحقوق تجاه جيرانه وقومه ، هي فرض عليه وإلزام ، وإذا كانت له الشورى فعليه الطاعة إذا التقى المسلمون على أمر وعزموا عليه . وتوازن بين المثالية والواقعية ، والهدف والقدرة ، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها . وهذا الدين متين لا يشاده أحد إلا غلبه ،

فالاعتدال والتوازن والوسطية التي تحفظ الميزان في ذلك كله نهج هذا الدين وأساسه ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة : ١٤٣) . فلا تتحقق لأمة قيادة لهذا العالم أو ريادة إذا مال ميزانها واختل التوازن في مسلكها واختيارها . فهو ليس سمة في التربية فقط ، بل هو سمة الكون كله الذي أقامه الله بالقسط ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ (آل عمران : ١٨) .

وانعكاس ذلك على التربية الإسلامية منحها مكانتها ، فأخرجت هؤلاء الصحابة الكرام والتابعين ومن سلك سبيلهم ، الذين غيروا وجه الدنيا من الهمجية إلى الحضارة ، وسعدت بهم البشرية . فالتوازن صار سمة الشخصية الإسلامية يراعيه المربي في شمول عنايته بجوانب الإنسان في تنشئته . والتوازن امتد من المحتوى إلى الطريقة في التربية ، فلا هي العنف ولا هي التسيب ، بل مساعدة الإنسان على أن يقيم بتقوى الله ميزانه الداخلي ، فيحفظ حقوق نفسه والآخرين . والتوازن انعكس على نظرته لأمور حياته وأمور آخرته ، فهو يقيم العمران ولا ينسى الرصيد اللازم في خلود دائم ، فالوسطية والتوازن ليست صفة أو خصيصة منفصلة ، بل هي نهج يخترق كل ما ذكرناه من خصائص في الإيمان ، والتوجه إلى التكامل ، والجمع بين النظرية والتطبيق ، والتربية على العلم والبحث والتأمل ، وإرساء أخلاقيات وسلوكيات العمران لهذا الكون ، ففي كل ذلك تقوم التربية على التوازن والاعتدال والوسطية .

الفصل الثاني

أهداف التربية الإسلامية

أهداف التربية الإسلامية

التربية الإسلامية هي عملية التوجيه والمعاونة والرعاية والتنمية للإنسان ، ليصبح في عقيدته وفكره وعلمه وجسمه وسلوكه بعامة ، تجاه نفسه وغيره ، وتجاه ما سخره الله له في الكون نابعا من شريعة الله التي أنزلها في كتابه ، وقدم رسول الله ﷺ النموذج الحي لها في قوله وفعله وتقريره .

فالتربية الإسلامية بذلك هي «تلك المفاهيم التي يرتبط بعضها ببعض في إطار فكري واحد ، في أسسها النظرية ووسائلها العملية ، يستند إلى المبادئ والقيم التي دعا إليها الإسلام والإجراءات والطرائق العملية[٢٧] التي يؤدي تنفيذها إلى إعداد الإنسان الذي يحيا بالإسلام ويدعو إليه» .

والتربية الإسلامية النابعة من كتاب الله وسنة رسوله لا تواجه في إعداد الشخصية الإنسانية الحيرة والقلق اللذين واجهتهما رحلة التربية على مدى تاريخها ، بحثا عن الأهداف التي تود أن تهتدي بها في صياغة السلوك الإنساني ، تلك الرحلة التي تخبطت فيها البشرية كما يقول محمد قطب : «بين عبادة العقل ، وعبادة الجسم ، وعبادة المادة ، وعبادة الحتمية التاريخية ، والحتمية الاقتصادية ، والحتمية الاجتماعية ، وبين المؤمنين بطهارة الطبيعة الإنسانية أو خطيئتها ، تلك التوجهات التي انعكست على التربية في عصورها المختلفة ، ودفعت الإنسانية الكثير ، حين قادت الشعوب وفقا لتوجهاتها»[٢٨]

فالهدف الأساسي للتربية الإسلامية هو إعداد الإنسان الذي يتعبد الله ، بالصلاح في مسلكه ، ذلك الهدف الذي حدد القرآن الكريم سماته الأساسية

في سورة العصر : ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ . (العصر)

فرب العالمين يقسم بالزمان الذي تقع فيه حركات بني آدم من خير وشر[٢٩] مؤكدا : أنه على امتداد الزمان في جميع العصور وامتداد الإنسان في جميع الدهور ، ليس هناك منهج وهدف رابح ، وطريق واحد ناج بالحياة البشرية إلا طريق الإيمان والعمل الصالح ، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر[٣٠] ، فهو بذلك يحدّد الهدف العام لغاية التربية الإسلامية ، الذي علينا أن نشتق منه سائر أهداف تربية وتكوين المسلم وإعداده ليكون :

١ - الإنسان المؤمن الذي يرتفع بتوحيده عن العبودية لغير الله ، ويقيم في نفسه المساواة مع جميع العباد ، فلا يذل لأحد ، ولا يحني رأسه إلا لله الواحد القهار ، يستقي رؤيته للكون والحياة ، ونحو رفقائه في رحلة الحياة الدنيا ، ومنهج سلوكه في ليله ونهاره ، في سره وعلانيته ، ومعايير اختياره ، وأولوياته ، من هدى الله وأوامره ، مؤمنا في عقله وقلبه وكيانه ، أن هدف رحلته على هذه الأرض عبادة الله وطاعته وطلب رضاه ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات : ٥٦) . فكل عمل يقوم به ، بل كل سكنة وحركة منه - مهتدية بهذه الطاعة - ينفع بها نفسه أو غيره ، يسهم بها في تعمير الأرض التي استخلفه الله عليها ، أو يرطب بها قلبه . مسبحا شاكرا مستغفرا ، هو عبادة ، لأن العبودية تمام الالتزام بمن نعبده ؛ فالعبادة جامعة مناشط الإنسان وتوجهاته كافة ، تستوعب حياته كلها من جميع جوانبها[٣١] ، بعيدا عن الثنائية التي انتقلت إلينا وسكنت عقول الكثيرين من مفكرينا وسواد مجتمعنا ، وهي تقسيم الحياة إلى أعمال دينية وأخرى دنيوية ، يعبد الله في الأولى ، ويعبد المجد والمال

والسلطة واللذة في الثانية .

ولنتأمل أي تغيير يحدث في مجتمعنا لو تربى أبناؤنا ونشأ شبابنا ، وسلك الكبار منا على رفض هذه الثنائية ، واعتبار كل عمل عبادة : حل مسألة حساب أو إصلاح سيارة أو تنظيف طريق أو إنتاج سلعة ، يحاسب المؤمن عن كل ذرة في تأديتها فيتوجه إلى الإتقان والتميز ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة : ٧ - ٨) .

٢ - الإنسان الصالح الذي يترجم عمله إيمانه ، و«الصالحات» تعبير قرآني يعني كل ما يصلح به الفرد والجماعة ، وتصلح به الدنيا على سعتها والآخرة بذلك كله[٣٢] . فالإنسان الصالح لا يقتصر عمله الصالح على نفسه وقومه ، بل يمتد إلى الدنيا على سعتها خيرا لكل البشر ، بل لكل من خلق ، من إنسان وحيوان ونبات ، وهو هدف تربوي يختلف عما تتبناه حتى أرقى النظم «المتقدمة» في عالمنا ، فنطاق العمل الصالح الذي يربون عليه أطفالهم هو نطاق الوطن ، أما من يموت أو يقتل ظلما وبغيا ، عدوانا وقهرا ، في البوسنة أو غيرها ، فقد يثير الاشمئزاز ، ولكنه نادرا ما يحرك العمل المنطلق عن عقيدة واستعداد للبذل والتضحية لدى الفرد في تلك المجتمعات . ذلك هو الفرق بين التربية الإسلامية الإنسانية العامة والتربية القومية الضيقة في عالمنا المعاصر[٣٣] .

٣ - الإنسان المؤمن الصالح الذي لا يقف عند صلاح دينه وعقيدته في الفكر ، بل يمتد الصلاح إلى جسمه وبنائه ، وعقله وانتقائه منهجه ، واتزانه العاطفي وتكامل معرفته بما يلزم المرء من معرفة لازمة لسداد رؤيته

وقراره ، وبما هو مطلوب من مهارات وخبرات تحيل المعرفة العقلية إلى عمل نافع . فالتربية الإسلامية للمؤمن الصالح تربية تكاملية .

٤ - والإنسان المؤمن الصالح الذي يستشعر أهمية العمل الذي يقوم به ، ويجد حلاوة هذه الطاعة في قلبه ، فيوصي بها غيره ، ويتعاون مع الآخرين على أن يلتزموا بالحق وأن يدعوا إليه ويحموه ، لأن الإسلام يستنكر أشد الاستنكار قولا يردد بلا عمل ، وبلا ممارسة له في الواقع . فرد الحق إلى أهله أيا كانوا من العمل الصالح . ولقد سر النبي ﷺ لشهوده حلف الفضول في الجاهلية وأعلن أنه ينفذه في الإسلام ، وهو حلف لمناصرة المظلوم حتى يؤدى إليه حقه[٣٤] . فليس يكفي أن يكون الإنسان المؤمن صالحا في نفسه دون أن يسهم قدر وسعه وطاقته في صلاح جوانب الحياة كلها من حوله .

٥ - والإنسان المؤمن الصالح الذي يربى على الثبات على الحق والتجمع عليه ، وتحمل أعباء التواصي به ، مهما تكن التضحية . على أن يكون التواصي بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ، فالتربية الإسلامية تهدف إلى إعداده ليكون قادرا على تحمل مر البلاء ، وطول الطريق وكثرة المعوقات ، موصيا بذلك غيره ، متقبلا الوصية منه ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[٣٥] (العصر : ٣) .

وهذا الهدف العام للتربية الإسلامية في المجتمع المسلم ، لا يختص بمرحلة دراسية أو مرحلة عمرية ، فهو يقود جهود التوجيه والعون والرعاية والتنمية للمسلم ، والوسائل اللازمة لذلك على مدى رحلة حياته ، وهو يشمل هدف التربية النظامية في المدارس ، وغير النظامية في وسائل التثقيف الشعبي على

كافة أنواعها ومستوياتها ، وهو بالطبع يشمل التربية في الأسرة مع الوالدين .

وحين ننتقل من هذا الهدف العام للتربية الإسلامية إلى بناء أهداف التربية الإسلامية لمرحلة دراسية ، أو لمنهج مادة دراسية ، أو نسق معرفي معين ، أو التربية لمهنة أو لغيرها من أنواع التربية التي يحتاج إليها الفرد في مجتمعه وعالمه ، فإننا نتوقف أمام مجموعة من الاعتبارات .

*** اعتبارات في بناء الأهداف الخاصة للتربية الإسلامية للمجالات المختلفة :**

أولها : أن يكون ذلك لمجال نافع : فقد كان ﷺ يستعيذ بالله من علم لا ينفع . وعدم النفع قد يرجع إلى كونه متصلا بأمر منهي عنه كصناعة الخمر ، أو لإهداره الوقت أو الجهد أو المال دون جدوى محققة ، ولا ينصرف هذا المعنى في تقسيم النافع وغير النافع من مجالات المعرفة الإنسانية إلى التقسيم الغربي المسيحي الكنسي ، الذي يقسمها إلى : علوم للدنيا ، وأخرى للدين . فنحن نعتقد أن الصحوة الإسلامية تجاوزت هذا الجدل الفارغ . فالإسلام نظام أحكم الله وضعه لحياة الناس في رحلة الحياة الدنيا ، التي استهدف بخلقها عبادته وطاعته ، ولا يملك مسلم أن يختار من هذا النظام الشامل المحكم ويترك ، فكل علم يتعلمه المرء يعينه على الحياة الصالحة تكاملا في ذاته أو تواصلا مع غيره . فالحياة كلها تربي الإنسان ، وليس المعلم وحده ولا المدرسة وحدها[٣٦] . فهو يمتص السلوك والقيم من تفاعله مع كل ما حوله : إعمارا وتنمية لما استخلفه الله عليه في كونه ، أو فهما لدينه أو تأملا في خلق الله .

وثانيهما : أن تحديد أهداف التربية الإسلامية لمجال معين من المجالات ينبغي أن نسلك إليه السبيل الذي أرشدنا الله إليه وهو :

- التأمل والنظر وإعمال الفكر وتحري الحقيقة والبُعد عن الهوى . وهو المنهج الإسلامي في البحث وإصدار الأحكام في الأمور ، الذي يستوعب ما يطلق عليه اليوم الأسلوب العلمي في التفكير والبحث ، ويفضله بكثير من المراقبة لله والإصرار على الإتقان والسعادة بالنقد الناصح ، والمسارعة إلى الصواب والحق . ويعني ذلك ضرورة إجراء البحوث ومسح الظواهر والبدء من حيث انتهى الآخرون .

- الاستعانة بالمتخصصين أهل الذكر ، فأهل الذكر في كل علم هم المشهود لهم بالإتقان والتبحر في مباحثه .

- الأخذ بمبدأ الشورى والحوار في بحث الأمور التي تتعلق بمصالح الناس وإدارة أمورهم ، والتربية من أخطرها . وهو مبدأ لا يقتصر على شؤون الحكم والسياسة ، بل نهج في الحياة هدانا الله إليه ، يستشير من أسندت إليه مسؤولية القرار كل من يمكن أن يسهم في ترشيد هذا القرار بعلمه وخبرته أو بحكمته وتجربته ، أو معاناته كصاحب مصلحة ومستفيد ، فهو قد يرى زوايا لا يراها من هو في قمة الهرم بعيدا عن القاعدة وهمومها في أي موقع . وطلب الشورى مسؤولية من يصدر القرار ، والنصح فيها واجب من يستطيع أن يسهم في معونته بالرأي . روى مسلم عن رسول الله ﷺ : «الدين

النصيحة» . وعن جرير بن عبدالله : «بايعت رسول الله ﷺ على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم» (متفق عليه) . وتطلعنا الحكمة المستقاة من التجربة الإنسانية في الأخذ بالشورى ، على أنها تؤدي إلى القرار الأكثر سدادا والتقبل الأكثر اقتناعا .

وتطبيق ذلك في قضية الأهداف الفرعية للتربية الإسلامية ، أن يأتي تحديد هذه الأهداف بعد مسوح للاحتياجات ، ومسح للظواهر ، وتعرف التجربة الإنسانية في المجال بوعي ، وإدارة الحوار مع المعنيين المستفيدين والمتخصصين ، وعرض مشروع الأهداف بعد إنجازه للحوار قبل أن يتم إقراره .

فعملية بناء الأهداف عمل جماعي يجب أن يحظى بأكبر قدر من البحث والمشورة وتحكيم المتخصصين ، والانتفاع برأي المستفيدين من أولياء الأمور ، وعينة من الطلبة النابهين والمعلمين ذوي الخبرة والتجربة . هذه الأهداف ستقود العمل ، ويختار في ضوئها المحتوى ، وتبني المناهج ، وتؤلف الكتب ، وتختار طرائق التدريس الملائمة لها ، فهي نقطة بداية أعمال شديدة الأهمية والخطر .

مصادر التربية الإسلامية:

كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ هما المصدران الأساسيان اللذان تستقي منهما التربية الإسلامية أهدافها ومنهجها في توجيهاتها العامة ، ومحتويات برامجها ، واختيار طرائقها ، ونوعية تعليمها .

وهناك مصادر أخرى مفسرة ومفصلة للكتاب والسنة ، أو تعالج في ضوء ما جاء فيهما من أصول وقواعد عامة ، ما يجدّ من أقضية تتصل بحياة الناس ، ويدور الحوار حول اعتبارها مصادر أخرى للتربية الإسلامية تنتفع بما تقدمه في مجالاتها . وقد فصل سعيد إسماعيل في كتابه «أصول التربية الإسلامية» ، مختلف الآراء حول هذه المصادر(٣٧) ، ويأتي في مقدمة هذه المصادر الأخرى ، آراء الصحابة رضي الله عنهم . وتتعدد الآراء في تعريف الصحابي ، فالبخاري يرى أنه من صحب رسول الله ﷺ أو رآه . ويرى آخرون أنه لا يعد صحابيا إلا من أقام مع النبي ﷺ سنة أو سنتين . ويشترط آخرون أن يكون بالغا مدركا . وعموما فإن جمهور المحدثين يرى أن الصحابي من لقي النبي ﷺ مسلما ومات على إسلامه .

وقد أبدى البعض تحفظا على الأخذ برأي الصحابة ، ويرونه اجتهادا من المجتهدين . فهو ليس معصوما من الخطأ وإن تميز بالفضل والعلم والتقوى . واستندوا إلى أن الصحابة كانوا يتهيبون الفتوى ، ويفترضون إمكان الخطأ ، بالإضافة إلى أن آراء الصحابة فيما بينهم كانت تختلف . وقد ذهب الشوكاني هذا المذهب .

أما الأئمة الأربعة ، فقد ذهب أبو حنيفة إلى أنه إذا لم يجد الحكم في كتاب الله ولا في سنة رسوله ، أخذ بقول من شاء من الصحابة وترك من شاء ، ولكنه لا يخرج عن قولهم إلى قول غيرهم . وإلى ذلك ذهب الشافعي . أما مالك فقد كان شديد التمسك بآراء الصحابة ومعه ابن حنبل .

ونحن في هذا المجال نبحث عن مصادر التربية والتوجيه للمسلم . وصحابة رسول الله هم الذين عاشوا في مدرسة النبوة ، واتصلوا مباشرة

بالقدوة خير البشر ، وصفهم الله في القرآن الكريم بأنهم ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ (الفتح : ٢٩) . وأعلن للبشر حتى تقوم الساعة رضاه عنهم ، وبشرهم بجنات تجري من تحتها الأنهار ، ودعانا رسول الله ﷺ إلى محبتهم والاقتداء بهم : «الله الله في أصحابي ، لا تتخذوهم غرضا بعدي ، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، من آذاهم فقد آذاني» (أخرجه الترمذي وابن حبان في صحيحه) .

والواضح أنه لا خلاف في أن قول الصحابي فيما لا يدرك بالرأي والعقل ، حجة على المسلمين ، لأنه لا بد أن يكون سمعه من النبي ﷺ ، كذلك فإن قول الصحابي الذي لم يعرف له مخالف من الصحابة ، يكون حجة على المسلمين ، وأن اتفاقهم على رأي ، مع قرب عهدهم بالرسول ﷺ وعلمهم بأسرار العقيدة ، دليل على استنادهم إلى أمر قاطع ، وإن كان هناك اختلاف فهو حول رأي الصحابي الصادر عن رأيه واجتهاده[٣٨] ، وعلينا في التربية الإسلامية أن نعقد وثيق الصلة بين أبنائنا وسيرة النبي ﷺ وصحابته وتاريخهم ، فهم لهم مصابيح بأيهم اقتدوا اهتدوا . ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (الأنعام : ٩٠) .

يأتي بعد أقوال الصحابة كمصدر من مصادر التربية الإسلامية ، الإجماع والقياس ، ويرى عبدالوهاب خلاف : «كما أنه لا مساغ للاجتهاد فيما فيه نص صريح ، فإنه لا مساغ للاجتهاد فيما انعقد على حكمه إجماع المجتهدين» ، لأن المجتهدين[٣٩] ، إذا أجمعوا على حكم فهو حكم الأمة ، والأمة لا تجتمع على ضلالة[٤٠] .

وهناك مصادر أخرى للتشريع الإسلامي فيما لا نص فيه ، وهي القياس والاستحسان والاستصلاح والاستصحاب ، وهي مصادر أخذ بها علماء أصول الفقه ، ولم يحتج بها بعضهم على خلاف . لا نرى هذا البحث موضوعا لشرحها ، وهي تشير إلى محاولات صادقة من علماء المسلمين بحثا عن الحكم الشرعي في القضايا المتجددة المتطورة بتطور أحوال الناس واختلاف البيئات ، فهي مرونة وخصوبة في الاجتهاد لمواجهة عالم شديد التغير ، جم التحديات ، إيمانا بأن مصادر التشريع الإسلامي معين لا ينضب ، وأنها قادرة على الوفاء بحاجات البشر في كل زمان ومكان .

وانعكاس هذه الأمور على التربية الإسلامية ، أوضح من أن يفصل ، فنحن نربي أجيالنا على هدي شريعة الله وأحكامها ، وعلينا أن نكون واعين بحجية ما نستند إليه في مناهجنا وطرائقنا التربوية .

ويمثل العرف مصدرا آخر من مصادر التشريع الإسلامي ، وبالتالي التربية الإسلامية . وقد اشتهر على ألسنة أهل أصول الفقه قولهم : «العرف في الشرع له اعتبار» ، «وأن العرف شريعة محكمة» ، وهو ما يتعارفه الناس ويسيرون عليه غالبا من قول أو فعل .

ويفرقون بين الإجماع والعرف ، فالعرف يتكون من توافق أغلب الناس عليه ، بما فيهم العامة والخاصة والأميون والمجتهدون ، أما الإجماع فلا يكون إلا باتفاق المجتهدين على حكم شرعي . والعرف يتحقق بتوافق أغلب الناس . أما الإجماع فلا يتحقق إلا باتفاق جميع المجتهدين من المسلمين في عصر وقوع الواقعة المعروضة .

والعرف صحيح وفاسد ، فالصحيح ما تعارفه الناس ، وليست فيه مخالفة

نصٍّ ولا تفويت مصلحة ، ولا جلب مفسدة . والفاسد ما يتعارفه الناس مما يخالف الشرع ، أو يفوت النفع ، كتعارفهم على العقود الربوية ، أو العادات المستنكرة في المآتم والموالد والاحتفالات . ويتغير العرف باختلاف الزمان والمكان . وقد غير الشافعي لما هبط مصر بعض الأحكام التي رآها في بغداد ، حين رأى العرف في مصر ، ولهذا كان له مذهبان (القديم والجديد) .

ويدور الحوار حول مصدر من مصادر التربية الإسلامية في هذه المرحلة التي تشهد صحوة إسلامية ، يتنادى خلالها المسلمون بإعادة النظر في نظم التربية القائمة ، التي تستمد الكثير من هياكلها ومحتواها وطرائقها من مجتمعات أخرى . هذا المصدر هو كتابات العلماء والفلاسفة المسلمين ، التي تضمنت آراء في التربية والتعليم ، والذين تتجه جهود مخلصة إلى نشر تراثهم ، كالقابسي والزرنوجي وابن سينا وابن جماعة ، وسحنون وابنه محمد وابن الجراز والقيرواني وابن مسكويه ، والإمام الغزالي ، وابن رشد وابن خلدون وابن قيم الجوزية(٤١) .

ولا نعتقد أن أحدا ينكر قيمة هذا التراث ومكانته ، ولكن البعض ينبه إلى أن نتناول هذا التراث الثري المتميز بعين فاحصة دقيقة ، مميزين بين الجمود والتقليد والإبداع والابتكار المستند إلى الدليل في الكتاب والسنة والمصادر الموثوقة التي أشرنا إليها ، وبخاصة الآراء المتصلة بتفسير الطبيعة الإنسانية المتأثرة بالفلسفة اليونانية ، وانعكاسات ذلك على تربية الطفل ، وهو تحذير من أن نضفي ظلا من القداسة على هذا التراث ، يمنع الرؤية الناقدة والحوار ، ويحرمنا من الإفادة الحقيقة من مصدر ثراء وخصوبة لجهودنا في تطوير التربية الإسلامية ونهضتها(٤٢) ، فآراء هؤلاء جميعا تمثل اجتهادات في تفسير الإسلام وتوجيهاته في بناء الإنسان ، لهم عليها الأجر من الله ، وعلينا النظر والتحقيق .

الفصل الثالث

منهجية الإسلام في التربية

منهجية الإسلام في التربية

الرحمة روح الإسلام ، فرسوله رحمة للعالمين ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء : ١٠٧) ، وقرآن الله هدى ورحمة ﴿وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ (النمل : ٧٧) ، وسعت رحمته ما خلق ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً﴾ (غافر : ٧) .

فالرحمة منهج الله الخبير في رعاية خلقه وتنشئتهم : باليسر دون العسر والتدرج دون الطفرة ، رفقا بمن خلق وهو اللطيف الخبير .

* **فأول سمات المنهجية الإسلامية في التربية هي : التدرج .**

والتدرج هو التطبيق لروح الرحمة واليسر حتى لا يحمل الناس ما يشق عليهم القيام به مرة واحدة ، لينزل من النفوس والقدرة البشرية منزل الاستقرار والاستمرار ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ (البقرة : ٢٨٦) ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة : ١٨٥) ، مراعاة للطبيعة الإنسانية وتوجيها للأسلوب العام للتعامل معها ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ (المائدة : ٦) ، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ (النساء : ٢٨) .

ويوجهنا رسول الله ﷺ إلى نهج الرحمة واليسر والتدرج في توجيه البشر والتعامل معهم وتكليفهم وقيادتهم : «بعثت بالحنيفية السمحة» (مسند الإمام أحمد) . ويقول لمعاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري في وصيته لهما حين بعثهما إلى اليمن : «يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا» (رواه البخاري في كتاب المغازي ومسلم في كتاب السير) .

وتطبيق هذا المنهج الرباني من التدرج واضح ، فقد كان من رحمته بمن خلق وتوجيهه لنا إلى منهج التدرج في التغيير نحو المسلك الأمثل ، أنه نَزَّلَ القرآن منجما – في عشرين سنة أو ثلاثا وعشرين أو خمسا وعشرين بحسب الخلاف في مدة إقامته ﷺ بمكة بعد البعثة[٤٣] . على تؤدة ورفق . ولم يدرك الكفار حكمة ذلك ، ورد عليهم الرحمن مبينا حكمة التدرج ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ (الفرقان : ٣٢) فكان ذلك أعون على حفظه وأثبت في وعيه وأبقى له على الدهر وأبعد له من شر التحريف أو التشويه الذي مني به غيره من الكتب السماوية[٤٤] .

ونرى هذا التدرج في التشريع وبخاصة ما ارتبط بالعادات والمسلك والأحوال الاقتصادية والاجتماعية .

فقد تم تحريم الخمر بأربع مراحل :

- مرحلة التوجيه الرفيق الذي ميز وفصل بين السكر والرزق الحسن ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾(النحل : ٦٧) فبدأ التساؤل في العقول لِمَ لَمْ توصف الخمر بالرزق الحسن؟
- ومرحلة الإقناع الوجداني العقلي ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ (البقرة : ٢١٩) لتتزحزح النفس عن إلفها وتتحول عن عاداتها[٤٥] .
- ومرحلة تحريمها خلال فترة الصلاة ﴿لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ (النساء : ٤٣) تدرجا في إبعاد المسلم عن تعاطيها ، فالصلوات في خمسة أوقات وعليه أن يكون مفيقا لتقبل صلاته .

ثم مرحلة الحسم ، وقد هيئت النفوس ووعت العقول ضررها ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة : ٩٠) .

ومرت عقوبة الزنا بمراحل ، فكانت أول الأمر إيذاء بالقول والحبس في البيوت إلى الجلد مائة جلدة لغير المحصن والرجم للمحصن .

وتأخر تحريم الربا إلى العام العاشر من الهجرة حتى اكتمل نمو المجتمع المسلم .

وسلك الإسلام في معالجة مشكلة الرق وسائل عدة تنتهي في النهاية بتحرير الرقيق ، فهو نظام اجتماعي اقتصادي طال به الرسوخ ، تحتاج إزاحته من العقول والنفوس ونظام الحياة إلى فترة تحول كافية . وانطبق مبدأ التدرج ، فجاءت التكاليف واحدة تلو الأخرى : الصلاة ثم الزكاة ثم الصوم ثم الحج .

ونلاحظ التوجه ذاته في تهيئة النفوس والعقول خلال فترة التربية المكية قبل الهجرة إلى المدينة . فقد كان مدار الآيات المكية التركيز على ترسيخ العقيدة في النفوس ومجادلة المشركين والرد على شبهاتهم وعرض قصص مسيرة الرسالات السابقة وما حدث للمؤمنين وما حاق بالكافرين ، أما الآيات المدنية - في مجتمع آخذ في الاستقرار بحاجة إلى إرساء العلاقات ونظم التعامل والأحكام فيه على أسس من هدي الله - فنجد أن التوجيه والتشريع صاحب نشأة الدولة الإسلامية بتفصيل الأحكام الشرعية ، وتنظيم حركة المجتمع والتعامل في شؤون الحياة داخل الدولة وخارجها .

* وثاني سمات منهجية الإسلام في التربية :

التأكيد على الواقعية والإنجاز ، فلا يكفي أن يردد المسلم كلام الله أو يعرف الأحكام ويعددها ، بل لا بد أن يحيا بها ويمارسها : يتذوق حلاوتها ويعي حكمتها ويعاني صعوبات التمسك بها في مواجهة شهوات النفس وضغوط المجتمع ليصبح خلقه القرآن ، اقتداء برسول الله ﷺ ، فلا بد أن يصل بما يتعلمه إلى مستوى من القدرة على إنجازه ، وليس مجرد معرفته أو ترديده .

إن التصور الإسلامي ليس تصورا سلبيا يعيش في عالم الضمير ، قانعا بوجوده هناك في صورة مثالية نظرية ! أو تصوفية روحانية ! إنما هو تصميم لواقع يدعونا الله لإنشائه وفق هذا التصميم ، فإذا لم يوجد هذا الواقع فسيظل هذا التصميم مجرد فكرة[٤٦] وبناء هذا الواقع المسلم ، مسؤولية كل مسلم في حدود طاقته وسعته .

والمسلم لا يكمل إيمانه إلا إذا عاش بإيمانه وعمل به ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة : ١٠٥) . وقد ذكر القرآن الإيمان مقرونا بالعمل في أكثر من سبعين آية .

وقد كان ذلك النهج في تربية أصحاب رسول الله ﷺ ، فعن ابن مسعود : «والعمل بهن»[٤٧] . وذكر عن أبي عبدالرحمن المسلمي قال : «كنا إذا تعلمنا عشر آيات من القرآن لم نتعلم العشر التي بعدها حتى نعرف حلالها وحرامها وأمرها ونهيها» ، وذكر أبو عمرو الداني في كتاب البيان أن رسول الله ﷺ كان يقرئهم العشر فلا يجاوزونها إلى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل ، فيعلمهم القرآن والعمل جميعا[٤٨] ، فليست العبرة بكم المعرفة ، بل ربما استطاع

آن ينجز العمل بها لتغيير واقعه كما أمر الله تعالى به ، وانظر إلى الإيمان بالله وهو أمر عقيدي ، كيف أمر الله المسلم أن يستقيه من النظر والتأمل والسير في الأرض ومتابعة خلق الله ملاحظة وتأملا ! .

فإذا كان ذلك في الأمور الفكرية والتجريدية والتأملية فكيف يتعلم أمورا علمية أو حياتية أو مهنية أساسها التجريب والممارسة وتكوين المهارة؟

إذا انفصل ما يتعلمه المرء عما يمارسه ويعمله ، بل ويحسن عمله أصبحت الأمة أمة كلامية تصنع الكلمات ولا تصنع الأشياء ، وتعيش : خناقها مربوط بمن ينتج لها احتياجات حياتها ولوازم بقائها ، ويدعو ذلك إلى التركيز على الأساسيات والبُعد عن الحشو والتفصيلات والاهتمام بالتفاعل مع الواقع .

*** وثالث سمات منهجية الإسلام في التربية التنمية الإيجابية للفطرة البشرية :**

فالتربية الإسلامية لا تنكر الفطرة أو تصادمها أو تعمل على كبتها وقهرها ، فالفطرة منسوبة إلى الله ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ (الروم : ٣٠) فقد خلق الله الإنسان بميول وغرائز وحاجات ومطالب في بدنه وعقله ووجدانه ، واحترام الفطرة وقبولها واعتبارها واقعا مما خلق الله في عباده ، لا يعني الدعوة إلى إطلاق عنانها على غاربه ، بل الارتفاع والسمو بها في توازن واعتدال ووسطية هي ركيزة أساسية من ركائز هذا الدين وإحدى خصائص التربية الإسلامية المستقاة منه .

فليس في منهج التربية الإسلامية رهبانية تعمل على وأد الفطرة وتحقيرها ، فرسول الله ﷺ خير البشر كان يأكل الطعام ويمشي في الأسواق .

هذه النظرة الواقعية إلى الغرائز والميول ، ترفع عن المتعلم ما تغرسه أنواع أخرى من التربية ، تستقي مصادرها من فلسفات تدعو إلى تعذيب الجسد وقتل الرغبة والانصراف عن الحياة الدنيا ، دون أن تقدم للبشر البديل الوسط الذي تقدمه التربية الإسلامية في منهجها . فهي تراعي الميول والغرائز والحاجات ، وتفسح المجال لنشاطاتها والتعبير عنها وإشباعها ، في غير إسراف ولا تجاوز ، فالجنس حاجة بشرية أساسية يرتفع بها الإسلام من الاستمتاع إلى تحقيق وظيفتها الاجتماعية العمرانية بالزواج وتكوين الأسرة وتوفير الرعاية للأبناء ، في علاقة يشهد بها الناس ، ويتحمل المرء تبعتها كما يسعد بممارستها ، والحاجة إلى الطعام يرتفع بها الإسلام من النهم حتى الامتلاء إلى اختيار الطيبات والاعتدال في القدر «ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه ، حسب الآدمي لقيمات يقمن صلبه ، فإن غلبت الآدمي نفسه فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس» (رواه ابن ماجة في باب الأطعمة) . وحبب الله إليه الصيام تنمية لقدرته على التحكم والضبط . فالاعتدال هو النهج ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف : ٣١) .

والرغبة والميل إلى النشاط والترويح حاجة فطرية تفسح لها التربية الإسلامية مجالها ما دامت لا تصرف عن واجب أكبر . عن عائشة : «كان يوم عيد يلعب السودان بالدرق والحراب فلما سألت رسول الله ﷺ قال : تشتهين تنظرين؟ فقلت : نعم ، فأقامني وراءه» (رواه الشيخان والنسائي) . وعن أنس قال : «كان لي أخ يقال له أبو عمير وكان إذا جاء رسول الله ﷺ قال : يا أبا عمير ما فعل النغير ، نغر كان يلعب به» (رواه البخاري في كتاب الأدب) .

والنغر بوزن الكتف طائر كالعصفور ، أحمر المنقار . وتلطف ﷺ مع أبي عمير فصغر النغر وقال النغير . وكان ﷺ يوصي بالمراوحة وعدم الإملال .

فالتربية الإسلامية تعترف بما في الفطرة من حاجات وميول ، فتفسح في برامجها لتنمية جوانبها الإيجابية وتغرس التوجيه الذي يعين على الضبط والاعتدال فيها ، ويجعلها مصدر قوة وثراء لشخصية المؤمن .

*** ورابع سمات التربية الإسلامية في منهجها :**

هو توجهها إلى تحقيق التوازن في الفرد بين حاجته إلى الحرية ومرونة الحركة وتلبية حاجاته وميوله بما يتيح له الانطلاق ، ويضاعف من دافعيته فيكون الإبداع والإتقان من جهة ، ومراعاة احتياجات المجتمع ومطالب عمرانه ونموه وسد حاجات مجموع الناس من جهة أخرى ، فنظم التربية في هياكلها وضوابطها وطرائقها ومحتواها ، تضع تحقيق هذا التوازن في التطبيق هدفا تسعى إليه . فالتربية بما قدمنا من سماتها وأهدافها قوة اجتماعية يتوسل بها إلى تقدم الفرد والجماعة ليتحقق للفرد تكامل التنمية لعقله وروحه وبدنه وقدرته وميوله ، وتتحقق للجماعة المسلمة إمكانات المواجهة والمواكبة والقيادة وقيام مجتمع (التواصي بالحق والتواصي بالصبر) . وغني عن القول أن حاجة المجتمع إلى أطر قادرة في المجالات الفنية والتقنية لا تقوم له اليوم حياة إلا بها ، مما يفرض على منهج التربية الإسلامية أن توجه الميول إليها منذ بواكير الطفولة ، فالصنعة في الإسلام «حصانة» ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ﴾ (الأنبياء : ٨٠) . وجعل توجيه الله إلى ذلك مستوجبا للشكر ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾ (الأنبياء : ٨٠) . وأبرز التشجيع على العمل اليدوي : «من أمسى

كالاً من عمل يده أمسى مغفورا له» (أخرجه الطبراني) . ويعلي رسول الله ﷺ شأن يد عامل تورمت من كثرة العمل ويقول : «هذه يد يحبها الله ورسوله ولن تمسها النار أبدا» .

ويهدينا هذا التوجه إلى اتخاذ أساليب التخطيط التي تكفل الحفاظ على هذا التوازن في نهج التربية الإسلامية ، حتى لا يحرم الفرد من تنمية موهبة واتجاه ، ولا يحرم مجتمع المسلمين من توافر كفايات في مجالات يحتاج إليها ، وما يتبع ذلك من إجراءات ونظم وضوابط تكفل تحقيقه ، فما لا يقوم الواجب إلا به فهو واجب . ويرى الأصوليون منح الأولوية لمصالح الناس وما يقوم بها على باقي أدلة الشرع في مسائل الاجتهاد[٤٩] .

الفصل الرابع

وسائل تحقيق منهج الإسلام في التربية

وسائل تحقيق منهج الإسلام في التربية

الباحث في التربية الإسلامية ، في القرآن الكريم والسنة المطهرة ومسلك الصحابة وأقوالهم ، وفيما توصل إليه أهل الفقه والأصول من الاجتهاد فيما لا نص فيه ، وفي تجارب ودراسات علماء المسلمين وخبراتهم في تربية الناشئة والإنسان بعامة ، يقف باكيا أمام كنوز تبهر العقل ، ويحس المرء بالقهر من مرارة التقصير ، فالأمة المريضة في كبوتها تنتظر الدواء ، وعناصره موجودة وتوجيهات تركيبه أسهم في البحث عنها علماؤنا بالكثير من الجهد ، وقطعوا أشواطا طويلة ، والأمر اليوم بحاجة إلى من يمعن النظر ويدقق البحث ، ليفيد من ذلك كله فيما يصلح لزماننا وأحوالنا ونوعية أدوائنا . والمرحلة التي نمر بها وما تفرضه من أولويات لتقوم النهضة التربوية على أساس بإذن الله وعونه متين . وتزخر هذه المصادر ببيان وسائل التربية الإسلامية في تحقيق منهجها ، نجملها ، فالمقام لا يتسع للتفصيل .

يأتي في مقدمتها القدوة:

فالمعلم الصالح بما قدمناه من مفهوم للإصلاح في العقل والإرادة والتمكن والمهارة ، والخلق والمسلك ، والحكمة والموعظة الحسنة ، هو الذي يترجم إلى واقع عملي في المواقف التعليمية أهداف هذه التربية ومنهجيتها ، فيحسن الترجمة ، فيكون الفهم والانتفاع أو الملل والانصراف ، ويحتاج تناول موضوع المعلم إلى دراسة مستقلة تتناول بشمول وعمق قضايا اختياره وإعداده ووضع مهنته ومناخ العمل المتاح له ، والنظرة الاجتماعية إليه ليكون حصاد ذلك كله المعلم المؤمن القدوة التي نبحث عنها ، والقدوة تبدأ مع الميلاد وسط الوالدين

والأهل ، يمتص منهم الطفل القيم والعادات والحركات ، فضلاً عن درجة الصوت في البيت عند التعبير ، والحديث بالهدوء والتروي ، أو الاندفاع والانفعال . ويحمل الرسول ﷺ الوالدين هذه المسؤولية ، فهما يهودان أو ينصران أو يمجسان طفلهما ، أو يقودانه نحو طريق الله ورسوله ، مما يلقي عليهما واجبات في مراعاة كل مسلك يقومان به ، واعيين بأثره في الطفل . وتشير التجربة الإنسانية ، متمثلة في دراسات الطفولة إلى أن السنوات الخمس الأولى ترسي الأساسيات والتوجهات الكبرى في الشخصية الإنسانية ، وهو أمر يفرض على التربية الإسلامية مسؤولية واضحة في إعداد الوالدين للقيام بمهمة التوجيه والرعاية من خلال برامج وقنوات ترعى ظروفهم .

والقدوة في فترة المراهقة أخطر ما تكون ، حيث يتوجه الفرد خارج البيت إلى الأقران ، يرى فيهم النموذج والقدوة ، ويستقي من ممارساتهم خير التوجه أو شر المسلك ، ووصية الله : ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (الكهف : ٢٨) وهي بالتالي مسؤولية تتحملها التربية الإسلامية والمؤسسات الاجتماعية في توفير أماكن لقاء هؤلاء المراهقين للهو بريء ونشاط نافع ، تنمية لميل وتلبية لاهتمامات في مناخ يتوافر فيه التوجيه والرعاية . فإذا كانت توصية التربية الإسلامية في الحرص على اختيار الأقران موجهة إلى الناشئ ووالديه ، فهي أيضا موجهة اليوم إلى مؤسسات التربية بمفهومها الشامل ، لتتيح المكان والمجال والتوجيه ، الذي يحقق الصحبة الطيبة والقدوة في المناخ الصالح .

ولعل من أجمل ما يتوقف المربي المسلم أمامه بعد دراسته والتأمل فيه ،

وصية الإمام الشافعي لمؤدب أولاد الرشيد[٥٠] مبينا دور القدوة وأثرها حين قال له سراج الخادم : «يا أبا عبدالله هؤلاء أولاد أمير المؤمنين ، وهذا مؤدبهم فلو أوصيته بهم ، فأقبل عليه الشافعي فقال : ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح أولاد أمير المؤمنين إصلاح نفسك ، فإن أعينهم معقودة بك ، فالحسن عندهم ما تستحسنه ، والقبيح ما تكرهه ، علمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملوه ، ولا تتركهم عنه فيهجروه ، ثم روهم من الشعر أعفه ومن الحديث أشرفه ولا تخرجهم من علم حتى يحكموه ، فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم» .

وثاني الوسائل والطرائق التي تسلكها التربية الإسلامية مراعاة خصائص الموقف التعليمي:

من حيث مراعاة ظروف المتعلم وخصائصه والعوامل المحيطة به ، ومراعاة اختيار الوقت المناسب للتعليم والحرص على الاحتفاظ باهتمام المتعلم وتركيزه . وهو منحى يراعي الفروق الفردية في الموقف التعليمي ويسعى إلى تفريد التعليم ، ليحصل المتعلم على ما يحتاج إليه ويهمه ويتلاءم وظروفه ، فيكون التعلم السريع المؤثر في الخبرة والسلوك . ويضرب عبدالفتاح جلال المثل في ذلك باختلاف الأساليب القرآنية في تناول القضية الواحدة مراعاة للاختلافات بين الناس[٥١] . كما يشير إلى مجموعة من الأحاديث النبوية التي يطلب الأفراد فيها النصيحة ، فيكون جواب الرسول ﷺ لكل منهم مختلفا عن الآخر ، وإن كانت جميع الأجوبة تصب في النهاية في الهدف العام الذي تسعى إليه التربية الإسلامية . ومن هذه الأحاديث :

عن عبدالله بن عمرو أن رجلا سأل رسول الله ﷺ : أي الإسلام خير؟ قال : «تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف» (رواه مسلم في كتاب الإيمان) . وعن أبي هريرة قال : سئل رسول الله ﷺ : أي الأعمال أفضل؟ قال : «إيمان بالله ، قال : ثم ماذا؟ قال : الجهاد في سبيل الله ، قال : ثم ماذا؟ قال : حج مبرور» (رواه مسلم) . وعن عبدالله بن مسعود قال : «سألت رسول الله ﷺ أي العمل أفضل؟ قال : الصلاة لوقتها ، قال : قلت : ثم أي؟ قال : بر الوالدين ، ثم أي؟ قال : الجهاد في سبيل الله» (رواه مسلم) . وعن عائشة أن رسول الله ﷺ سئل : أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال : «أدومه وإن قل» (رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها) . وعن أبي برزة قال : قلت يا نبي الله علمني شيئا أنتفع به قال : «اعزل الأذى عن طريق المسلمين» (رواه مسلم في كتاب البر والصلة والأدب) .

وواضح أن هناك مراعاة في اختيار ما يلائم كل سامع ، فقد أوصى رسول الله ﷺ أن نحدث الناس بما يفهمون .

والأخذ بهذا الأسلوب يتطلب تدريبا عميقا للمعلم وإعدادا للكتب المدرسية ، تراعي المستويات المختلفة ، ينتقل المتعلم من مستوى إلى ما يليه في الفرقة الواحدة ، وكتب لتعليم الكبار وفقا لأعمارهم واهتماماتهم ، فهو فتح جديد في تطوير التعليم .

وأما ما يتصل بمراعاة الوقت الملائم ومدى استعداد المتعلم وشوقه والحرص على البُعد عما يورثه الملل ، فنستمع في ذلك إلى حديث مالك بن الحويرث قال : أتيت النبي ﷺ في نفر من قومي فأقمنا عنده عشرين ليلة ،

وكان رحيما رفيقا ، فلما رأى شوقنا إلى أهلينا قال : «ارجعوا فكونوا فيهم ، وعلموهم وصلوا ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم وليؤمكم أكبركم» (رواه البخاري ومسلم) .

فالرسول عليه الصلاة والسلام تفهم بحكمته ، مشاعرهم وظروفهم ، فأوقف هذا البرنامج التدريبي ، في رفق وحلم ، وأذن لهم في السفر ، وزودهم ﷺ بتوجيه للفترة القادمة من حياتهم .

وقد كان ذلك نهج رسول الله في مراعاة الوقت الملائم للموعظة ومداه : عن ابن مسعود : «كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا» (رواه مسلم) . وهي توجيهات لمراعاة بناء تنظيم أوقات التعلم على نحو من المرونة ، يراعي هذه الاعتبارات والتوجهات .

ومن هذه الطرائق التي يركز عليها منهج الإسلام في التربية ، تدريب المتعلم على التأمل والنظر في الظاهرة وملاحظاتها ، وأن يقبل على دراسة الأمر والرأي أو الظاهرة دون حكم مسبق لديه ، تقليدا لغيره ، في موازنة وترتيب ، ووصولا إلى النتائج من المقدمات ، بإعمال العقل والتدبر ، وهو ما نطلق عليه - كما ذكرنا - الأسلوب العلمي في عصرنا ، وهي الطريقة التي حاور بها الرسول قومه ، وقد أشرنا إلى التفصيلات في ذلك .

وقد استخدم الإسلام القصة في التربية ، وهو منهج قرآني سار عليه الرسول ﷺ في تربية أصحابه . وقد شمل ذلك القصة الواقعية كقصة ابني آدم في سورة المائدة ، والقصة التمثيلية التي لا تمثل واقعة بذاتها ولكنها تمثل سلوكا إنسانيا يمكن أن يحدث في أي عصر كقصة صاحب الجنتين في سورة الكهف .

ويلفت محمد قطب نظرنا إلى أن التربية الإسلامية حين تعرضت للنفس البشرية ، لا تمجد الضعف ولا تبرر له كما يفعل المحدثون من القصاص ، بل تركز على لحظة الإفاقة والإنابة من هذا الضعف إلى الله ، كقصة آدم وحواء في سورة البقرة ، فقد أزلهما الشيطان فأخرجهما مما كانا فيه ، ولكن آدم تاب ، والله تواب رحيم(٥٢) . وقصة موسى في قضائه على الرجل حين وكزه ، في سورة القصص حين ينادي ربه مقرا بظلمه سائلا المغفرة . وأثر القصة في النفس الإنسانية معروف . وتحرض التربية الإسلامية على الانتفاع بلحظات الاهتمام المصاحبة للأحداث الجارية ، فتشغلها في إرساء العبرة وشرح الحكم والدعوة إلى التفكر والاستفادة ، وهو ما يطلق عليه البعض الطرق على الحديد وهو ساخن ، ونفضل وصفه باستثمار نقطة الاهتمام لدى الناس بأحداث جارية حولهم ، كما حدث في تنبيه المسلمين لموقفهم يوم أحد وما ساء البعض من تنازع وميل إلى هوى الناس ، كما جاء في سورة آل عمران ، وكذلك يوم حنين حين أعجبتهم كثرتهم في سورة التوبة .

وتتعدد أساليب التربية الإسلامية وطرائقها ، ويفتح الله على المعلمين المخلصين بالجديد من تلك الطرائق في أسلوب تكوين العادات واستثمار الطاقة ووقت الفراغ ، والترغيب والترهيب مقدّمين الترغيب على الترهيب ومبيّنين الحكمة والسبب في العقوبة ونتائج السلوك السيء ﴿وَلا يَحيقُ الْمكرُ السَّيئُ إلاَّ بأهْلِه﴾ (فاطر : ٤٣) .

ونشير عند حديثنا عن العقوبة كأسلوب من أساليب التربية ، فنذكر نهج رسول الله ﷺ في الرفق والرقة ، والتلميح دون التصريح وسعة الصدر لأخطاء

البشر ، انظر ما يرويه معاوية بن الحكم السلمي حين كان يصلي مع رسول الله ﷺ ، فعطس رجل فشمته معاوية فجعل المسلمون المصلون يضربون بأيديهم على أفخاذهم ، يدعونه إلى الصمت ورماه القوم بأبصارهم فاستغرب مستنكرا سر صياحهم ، فلما فرغ الرسول ﷺ من الصلاة يقول معاوية : «ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه ، فوالله ما نهرني ولا ضربني ولا شتمني ولكن قال : إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس . .» (رواه مسلم والنسائي) . وقصة المرأة السارقة التي قطعت يدها وتابت ، وكانت تأتي إلى رسول الله بحاجتها بعد ذلك (البخاري كتاب الشهادات) وكلها وقائع تشير إلى رحمته ورفقه .

ويقتضي الحزم أحيانا توقيع عقوبة على المتعلم ، وهنا لا بد أن تكون مناسبة لدرجة الخطأ بلا انفعال يوحي بالانتقام ، فلا بد أن يدرك المتعلم في هدوء ودقة سبب معاقبته ليكون العقاب للإصلاح لا للتشفي ، ومراعاة كرامة الإنسان ، والبُعد عما نهى عنه النبي من ضرب الوجه أو التقبيح ، وباب طرائق التربية أوسع من أن تحده هذه المقتطفات .

الفصل الخامس

مكانة التربية الإسلامية بين النظريات التربوية،
أو ماذا خسر العالم بغياب التطبيق المعاصر
لمبادئ الإسلام في تربية البشر؟

مكانة التربية الإسلامية بين النظريات التربوية، أو ماذا خسر العالم بغياب التطبيق المعاصر لمبادئ الإسلام في تربية البشر ؟

لقد حرصنا أن نؤخر تناول موضوع مكانة التربية الإسلامية بين النظريات التربوية المعاصرة ، ليأتي في ختام ما قدمناه من صور متكاملة للخصائص الأساسية للتربية وأهدافها ، ومنهجيتها وطرف من وسائلها ، لننطلق من هذه الرؤية إلى النظر في موقع التربية الإسلامية بين النظريات التربوية المعاصرة .

ويتجه بعض الباحثين إلى بيان مكانة التربية الإسلامية من خلال عرض شهادات مفكرين وعلماء وباحثين غربيين ، تؤكد سمو التربية الإسلامية ممثلة فيما قدمته حضاراتها وتميز إنتاجها الفكري والعلمي ، وهو جهد طيب . وقد آثرنا أن نتناول هذا الموضوع من مدخل آخر .

ويتمثل هذا المدخل في اختيار مجموعة من أحدث التقارير ذات الشهرة العالمية التي تناقش أزمة التربية في دول العالم ، وبخاصة المتقدمة منها لنرى ماذا يمكن أن تقدمه النظرية التربوية الإسلامية من حلول لهذه المشكلات ، لأن المكانة الحقيقية للتربية الإسلامية يصعب أن تقوم على أقوال متناثرة لمفكرين أوروبيين مهما كانت مكانتهم ، مقارنة ببيان ما يمكن أن تقدمه التربية الإسلامية من خلال تحليل علمي في مواجهة تلك المشكلات ممّا عجزت عنه تلك النظم .

ونستهل هذه التقارير بتقرير قدمه جورج بوش ، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية إلى الأمة نشر عام ١٩٩٢ تحت عنوان :

America 2000, An Educational Strategy أي أمريكا ٢٠٠٠ استراتيجية للتعليم(٥٣) .

ولنطالع نص تقرير الرئيس بوش وهو يشرح التحدي الذي تقدم بهذه الاستراتيجية لمواجهته :

١ - مرت ثمانية أعوام منذ أن صدر تقرير «أمة في خطر»(٥٤) عن تدني التعليم الأمريكي وفقده لقدرته في السبق والتمييز ، وما زالت خطوط التطور في التعليم عندنا مسطحة دون أن نعرف أو نفعل ما فيه الكفاية لنجعل أمريكا على ما يجب أن تكون .

٢ - أمريكا تنفق على التعليم أكثر مما تنفق على الدفاع . وبينما زادت تكلفة التعليم الابتدائي والثانوي أكثر من الضعف منذ عام ١٩٨٠ ، ظلت أعداد الطلبة كما هي تقريبا ، وزادت التكلفة لكل طالب بمقدار ٣٣٪ أكثر مما يصرف على الدفاع .

٣ - يأتي ترتيب الطلبة الأمريكيين في الدراسات العالمية المقارنة لمستوى طلاب دول العالم المختلفة في آخر الصفوف ، أو قريبا من هذا الموضع ، وإذا لم يبذل جهد جذري فسنبقى حيث نحن .

٤ - ليست المشكلة هي فقط في التعليم اليوم ، فما يقرب من ٨٠٪ من مجموع القوى العاملة الأمريكية في عام ٢٠٠٠ ، هم اليوم في داخل قوة العمل ، وهؤلاء هم نتاج النظام التعليمي نفسه .

٥ - ما يقرب من ٢٥ مليون بالغ أمريكي يمكن اعتبارهم أميين تقريبا : أميين بمفهوم الأمية الوظيفية ، وهناك ٢٥ مليون أمريكي يحتاجون إلى تحديث مهاراتهم أو معارفهم .

٦ - يقضي أطفال أمريكا - في المتوسط - ما لا يزيد عن ٩٪ من أعوامهم الثمانية عشر الأولى في داخل المدرسة ، فماذا عن البقية من هذه الأعوام ونسبتها (٩١٪) هل تقضي في البيت أو في الملاعب أو أمام التليفزيون؟

- إن الأسرة بالنسبة لعدد كبير من أطفالنا والتي يفترض أن تكون هي الراعية الحامية لهم وسندهم الخلقي ، هي نفسها في حالة من الانهيار .

- وبالنسبة لعدد كبير آخر من أطفالنا فإن الأسرة غير موجودة على الإطلاق .

- ولعدد كبير آخر من أطفالنا فإن الجيرة والحي الذي يعيشون فيه تشكل مصدرا دائما للتهديد ، والشارع الذي يسكنونه أو يلعبون فيه هو مكان للعنف .

- وعدد كبير جدا من أطفالنا يبدأون حياتهم الدراسية وهم غير معدين لمواجهة تحديات التعلم .

- وعدد كبير من أطفالنا يصلون إلى المدارس وهم جوعى ، ولم يغتسلوا ، ويملؤهم الخوف .

- وهناك عدد آخر من الأوبئة الحديثة تلحق بأطفالنا : فهناك المخدرات

وسوء استخدام المشروبات الكحولية ، ومظاهر العنف غير المتوقعة ، وتعرض المراهقات للحمل ، والإيدز وبقية الأدواء .

ولا يمكن لأي مجتمع متمدن أو أمة تحب أبناءها أن تهمل أو تتجاهل هذه المكاره التي يتعرض لها الذين هم في كل حالة تقريبا ، مجرد ضحايا أبرياء لسلوك الكبار السيئ .

وليس هناك إلا عدد قليل من المشكلات يمكن حلها عن طريق الحكومة وحدها . وليس من بينها على الإطلاق ما يمكن للمدرسة أن تواجهه . فالمدارس وحدها لا يمكن أن تكون بديلا عن الإعلام ، أو الشرطة ، أو المستشفيات أو مؤسسات الرعاية الاجتماعية ، أو مراكز علاج الإدمان . فلا يمكن للمدارس أن تحل محل هذه الجهات إذا كانت قد افتقدت دورها في المجتمع المحلي أو في الأسرة . إن كل واحد منا هو على وعي ومعرفة بهذه الظروف ، ولكن عددا قليلا منا يرى أن هذه الظروف تهمه وتؤثر فيه ، فهناك اتجاه للقول :

قد تكون الأمة في خطر . ولكن أنا نفسي بخير .

فالتهاون والإهمال أو التقبل السلبي ، أمور منتشرة لدينا كأفراد بالنسبة لمدارسنا وأطفالنا وبيئتنا المحلية . ومن الدروس الأساسية التي نستخلصها من حركة الإصلاح التعليمي في الثمانينيات :

«إنه من المتعذر أن نحقق أي قدر من التقدم إذا لم يكن بيننا إلا عدد قليل يرون ضرورة تغير سلوكهم هم أنفسهم أولا» .

وقد حرصت أن أنقل نص تحليل الرئيس بوش لأزمة التعليم في بلده كاملا ، أما باقي التقرير الذي يقدم استراتيجيته للحلول (ص : ١٠٣) ، فنعتقد أن مكانه ليس هذا البحث .

والتقرير بما يقدمه من تشخيص لأزمة التربية في الدولة الكبرى التي تنفرد اليوم بالسيطرة والسيادة على العالم ، تقرير ناطق بذاته لا يحتاج إلى كبير تفسير أو تعليق :

١ - فالأزمة ليست في نقص الثروة ، وليست في ضعف الإنفاق على التعليم ، وقد استمعنا إلى الإحصاءات .

٢ - والأزمة ليست في تأخر تكنولوجي ، أو انخفاض مستوى الدخل إلى تحت ما يسمى بخط الفقر .

٣ - والأزمة ليست في غياب الوعي بالمشكلة «فكل واحد منا هو على وعي ومعرفة بهذه الظروف» كما يقول الرئيس بوش في هذه الوثيقة .

الأزمة التي يصرخ بها هذا التقرير أزمة تربية لم تستطع أن تقدم «رؤية» لهدف الرحلة على هذا الكوكب : لمعنى الحياة وهدفها ، ليعتقد المرء فيه ويؤمن به ، فيقود حركته وسلوكه وموقفه من نفسه وأسرته والآخرين ، وفي غياب الهدف والإيمان به دار كل فرد حول نفسه وما تشتهيه .

ومجموعة التقارير التالية التي نتناولها أعدتها منظمة اليونسكو ، وتقدمت بها اللجان الدولية التي شكلتها في نطاق المشاورات واسعة النطاق ، التي أجرتها مع الشخصيات البارزة في الأوساط الفكرية والتربوية

والثقافية في العالم ، الذين ينتمون إلى مناطق جغرافية وسياسية متنوعة ، لتعرف أبعاد المشكلات التي ينبغي أن تخطط التربية لمواجهتها على مشارف القرن الحادي والعشرين ، في مشروع عالمي واسع تحت مسمى «العالم في آفاق عام ٢٠٠٠» .

وهي دراسات على هذا المستوى العالمي ، تنطلق من الواقع رصدا لمعاناته وتحليلا لمشكلاته ، وتمتد استشرافا إلى تطور هذه المشكلات في العالم وهو على مشارف عام ٢٠٠٠ ، هذا إلى جانب تحديد الأولويات التي تطلب «تغييرا» و«إعادة توجيه» لمسار التربية وتوجهاتها نتيجة لذلك .

فهذه التقارير تعكس أبعاد «الأزمة» التي تعانيها نظم التربية في العالم ، وتضع أمام التربية الإسلامية مشكلات البشر ، لنقول لأنفسنا ولغيرنا ماذا يمكن أن تقدمه التربية الإسلامية في مواجهة ذلك ، ولنعرف وليعرفوا : **ماذا خسر العالم بغياب التربية الإسلامية عن التطبيق المتكامل في عالمنا المعاصر؟**

وأول هذه التقارير ورقة أعدتها «للجنة الدولية للتربية للقرن الحادي والعشرين» بعنوان : «التربية والتعليم للقرن الحادي والعشرين . قائمة الأولوليات»[٥٥] ، وهي صادرة عن اليونسكو في يونيو ١٩٩٢ . والورقة تشير إلى الانتفاع بكل التقارير الدولية حول التربية كتقرير «تعلم لتكون» ، الذي أصدرته لجنة إدجارفور ، التقرير الدولي عن التربية ١٩٩١ ، والتقارير الصادرة في ١٩٩٢ ، والتقارير التي أعدت لمؤتمر التربية للجميع في جومتيان تايلاند (مارس ١٩٩٠) والتي قدمت رؤية لواقع العالم والتربية جاء فيها :

يواجه العالم تحديات كبرى على عتبات القرن الحادي والعشرين ، تهدد

مكاسبه التي حققها ، وهي مخاطر آخذة في الازدياد ، يأتي في مقدمتها : التراجع والركود الاقتصادي ، واتساع التفاوت بين الدول ، وفي داخل كل منها ، وتشرد الملايين من البشر ومعاناتهم بسبب الحروب والعدوان ، وانتشار الجريمة والعنف ، واتساع مشكلة التردي في البيئة ومخاطرها التي تهدد أي استمرار للعالم أو التنمية .

ويورد التقرير إحصاءات عن انخفاض نصيب الفرد في الدول النامية من الناتج المحلي الإجمالي بنسبة ٢٠٪ ، ووجود ١٠٠ مليون عاطل ، في الدول المتقدمة منهم ١٣ مليونا ، وعن الديون التي تكبل الدول النامية ، حيث تصل خدمة هذه الديون إلى ٢٥٪ من قيمة صادراتها ، وقد وصلت الديون إلى ٤٨٥ بليون دولار عام ١٩٨٧ .

وانعكس ذلك على قدرة هذه الدول على الإنفاق على الخدمات الأساسية : الصحة والتربية ، فانخفض الإنفاق على الصحة بنسبة ٥٠٪ عن سابقه ، وانخفض نصيب الطالب من الإنفاق في قطاع التربية بنسبة ٢٥٪ .

ويوضح التقرير أن تلك الأوضاع تؤدي إلى دائرة مفزعة من التردي ، تترك ملايين يتخبطون أمام الفقر المطلق ، ينقصهم الغذاء والرعاية الصحية والتعليم ، فيزداد المرض لانتشار الجهل ، ويتدهور الإنتاج لتدهور المعارف والمهارات نتيجة لقصور التعليم ، وتستمر دائرة التردي[٥٦] .

ويتساءل تقرير اللجنة الدولية للتربية ، للقرن الحادي والعشرين عن موقف التربية المعاصرة من هذا التردي في عالم لم يعد فيه أحد في عصر ثورة الاتصال وتفجر المعرفة وتشابك النظم الاقتصادية ، بمنأى عن هذا التفاعل .

فهل تقبل الرؤية التي قدمها نادي روما رائد حركة الدراسات المستقبلية عن الوضع المقبل لعالمنا ، والتي عبر عنها ألكسندر كنج في كتابه «الثورة الكونية» عن السيناريو لهذا المستقبل الذي يجري كما يلي :

«لن يعمل أحد شيئا ، الفقراء سيرثون الأرض ويعيشون في بؤس دائم . إن علينا أن نتصور عالما تعيش فيه الدول المتقدمة الغنية في أزمة ، وهم مسلحون بأسلحة متقدمة لتحمي نفسها من القطيع الهائج الغاضب غير المتعلم ، الذي لا يجد عملا ، والمتربص بهم» ، أم علينا أن نخطط لتربية الإنسان ، تربية تسهم في مواجهة هذا السيناريو الأسود ، علما بأنه في الحقيقة ليس إلا إسقاطا وامتدادا للإحصاءات والأوضاع التي ذكرناها عن أوضاع العالم التربوية والصحية والاقتصادية وغيرها . ويشير التقرير إلى حوار دار في لجان التفكير حول تربية لهذا المستقبل :

«ترى أن التخطيط للمستقبل أمر ضروري ، وإذا كنا لا نستطيع أن نصنع المستقبل الذي نختاره لأجيالنا ، فإننا يمكن أن نصنع جزءا منه ، وربما يتصور البعض أنه يستطيع أن ينظم الحياة على الأرض بغير الله (دون تصور وجود الله) ولكن في التحليل النهائي سوف يجد أن تنظيمه للحياة هو اتجاه معاكس لمصلحة الإنسان»[٥٧] .

ويواجه التقرير مشكلة التردي البيئوي الذي يهدد البقاء الإنساني وما يمكن أن تقدمه التربية ، فأزمة الإنسان والبيئة هي أزمة ناشئة عن موقف يدور حول المنفعة الآنية ، ضاربا عرض الحائط بالآخرين أو المستقبل ، إلى جوار أن الاستهلاك المتسارع غير الواعي لموارد البيئة يضع قضية التنمية كلها أمام مخاطر نهائية . ويبحث التقرير عن :

- مدخل جديد متوازن للتنمية يواجه السرف والعبث والتدمير لمواردها .

- مدخل جديد في عقل الإنسان وإرادته يكفل السيطرة على التقنيات الجديدة في معالجة الجينات الوراثية ، يمنع تصميمها أو استعمالها ، فليست القضية نزع السلاح المدمر للبشر ، بل تربية وتنمية إرادة ترفض صنعه والبحث في تطويره .

- مدخل جديد لتربية الإنسان كعضو في مجتمع عالمي دون إقليمية أو وطنية ضيقة ، لا تبالي بالآخرين ، يحطم أسوار العنصرية الإقليمية ، مشيرا إلى القرار الصادر في ١٧/ ١٠/ ١٩٩١م من مجلس أوروبا بأن تتجه المناهج في الدول الأوروبية لتكوين وعي أوروبي ! والمطلوب وعي عالمي إنساني !

- كيف نوجد مدخلا جديدا لتربية الإنسان العالمي وليس فقط المواطن العالمي؟

- مدخل جديد لتربية عالمية تعيين الفرد على أن يتقبل التنوع في الأمم والأعراف والثقافات ، مؤمنا بتعارف الناس وتعاونهم وتربية الطفل على أن يدرك مسؤوليته نحو غيره من أطفال العالم الفقراء .

- مدخل جديد لتربية تقود البشر نحو تغيرات جديدة تنتقل بالتربية في ثورة من تربية مادية ، تدور حول التكنولوجيا ، إلى تربية تدور حول القيم الإنسانية للتنمية .

ويختتم التقرير مختصرا القول :

«إنه البحث عن تربية تكون جزءا عضويا من رؤية فكرية ذات طابع كلي نحو أسرار الحياة والكون» .

هل يحتاج هذا النداء إلى تعليق يوضح ماذا يمكن أن تقدمه التربية الإسلامية ، استجابة لما ينطق به من حيرة العالم ومعاناته التي تتردد أصداؤها في هذه التقارير العالمية؟ إن هذه الأدوات التربوية المتمثلة في :

- تربية مادية قدمت للإنسان هدف البحث عن الثراء والسعادة والوفرة ، وحصرته في نطاق الولاء لأرضه وقومه ، ولغير هؤلاء قيم أخرى في التعامل معهم ، فيمكن استعمارهم واستغلالهم ، وأكل حقوقهم وإفقارهم ، فيصبح الغنى المفرط والفقر المدقع ، هذا بالإضافة إلى العمل على تحاربهم وتنازعهم ما دام ذلك من أجل ما يسمى بالمصلحة العليا للوطن . أين هذه التربية من التربية الإسلامية التي تهدف إلى إعداد الإنسان الصالح في ذاته ولغيره ، للبشر ، ولكل ذات كبد رطبة ، وللشجر والنبات غرسا ورعاية وأمرا ألا يقطع شجرة ، ورعاية لكل محتاج ؛ يتفقد فيه البشر جاره اليهودي ، ويدور راعي الصدقات والزكاة بحثا عن محتاج ، تربية التكامل والتعاون والقيم الثابتة ، لأن مصدرها الله خالق البشر ، والالتزام بها عبادة والحيدة عنها معصية .

- أين هذه التربية التي أنشأت أجيالا من البشر على تصور يرون معه أنهم «يصارعون» الكون ، ويسعون «لقهر» الطبيعة و«السيطرة» عليها ، من التربية الإسلامية التي تقدم للفرد عقيدة ينشأ عليها ، تؤمن بالسلام مع

الكون والنفس والحياة في تناغم؟ ، فكل ذلك من خلق الله يسبحه : البشر والشجر والحجر والكواكب والنجوم فالكون بما فيه على هذا النحو هو الالتزام العابد المطيع ، الممّتثل في السير على هدي الله ونظمه وشريعته .

أين هذه التربية الإقليمية التي لم ينشأ من ربوا عليها على أن الله خلق الناس من ذكر وأنثى وجعلهم شعوبا وقبائل ليتعارفوا فأكرمهم عند الله أتقاهم ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (هود : ١١٨ - ١١٩) . فالتنوع سنة الله في خلقه وعلينا التعامل مع هذا التنوع بالمودة والرحمة .

إن ما لدينا في الوطن العربي كثير إذا اتجهنا إلى التكامل والتعاون ، ولا يعني ذلك إلغاء الخصائص الثقافية لكل مجتمع في هذا الوطن ، أو تذويبها في إدارة مركزية .

فتقرير اللجنة الدولية حول الثقافة والتنمية برئاسة خافير بريز دي كويلا الذي صدر في نهاية ١٩٩٥ بالتعاون بين اليونسكو وهيئة الأمم المتحدة يؤكد بوضوح :

أن البشرية في تقدمها مدينة لتنوع ثقافتها ، وأن الإطار المرجعي لمنظومة القيم في عالم الغرب يواجه اليوم تحدي العالم الذي يرى أنها ليست وحدها بسبيل للتحديث ، وأن هناك رؤى أخرى متنوعة لا يمكن أن يقوّم ثراؤها وقيمتها بالدولار والسنت[٥٨] .

فدعوة اليوم أن التنوع قوة وثراء ، ولكن التنوع شيء والتشتت والتشرذم شيء آخر ، والوحدة الأوروبية لم تمح اسم الدول الأوروبية من الخارطة ، بل نسقت بين جهود دولها ومواردها وسياساتها لتواجه العالم مجتمعة لا منفردة .

- وما تقدمه التربية الإسلامية في تنشئة المسلم على هذه الروح الرقراقة المتعاطفة مع نعم الله ، صيانة ورعاية ، وبعدا عن الإتلاف واستعمالا في غير سرف ، ولو على نهر جار ، واستمرارا في الغرس ولو قامت القيامة ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ (الإسراء : ٢٧) ولا يحب مؤمن أن يكون شيطانا يبذر في استعمال أنعم الله . إن ما يتطلعون إليه اليوم مما يسمى التنمية المستديمة[٥٩] هي أصل أصيل من تربية المسلم على غير سرف وإتلاف .

ونقرأ تقريرا آخر من تقارير اليونسكو ، يقدم حصاد ندوة أقيمت حول الخصائص المطلوبة في التربية لمواجهة متطلبات القرن الحادي والعشرين - التقرير الختامي[٦٠] ، وهي ندوة أقيمت في نطاق ما أشرنا إليه من حوارات أديرت في كل أقطار العالم ، بحثا عن التربية الجديدة لمواجهة القرن الحادي والعشرين ، وقد أقيمت بالصين برعاية اليونسكو ، وقد أعادت الندوة استعراض المشكلات الكبرى العالمية التي تنعكس على الإنسان وتربيته واختارت مجالات ثلاثة للإعداد لهذا المستقبل :

أولها : البحث عن فلسفة جديدة للتربية لمواجهة هذا القرن القادم ، واضحة ملامحها الأساسية المتمثلة في الانتقال من التربية بالمنافسة إلى التربية بالتعاون ، والانتقال من رؤية تقف عند حدود الوطن أو الإقليم إلى تربية تشمل الإنسانية بأقطارها ، والانتقال بالتربية من التوكيد على النفع الشخصي العائد من التربية إلى التوكيد على نفع المجموع والجماعة والصلاح للعالم ، والانتقال من تربية للصفوة إلى تربية وعلم للجميع ، والانتقال من تربية للامتحان إلى تربية تقوم على حب العلم

والمعرفة ليكون السبيل إلى تربية مدى الحياة ، والانتقال من تربية سلبية إلى تربية إيجابية للمساهمة في صنع مستقبل أفضل ، ودعم التربية للتعاون والتفاهم الدولي .

ويقرأ المرء هذه التطلعات فيحس أنه يقرأ كل ما سبق من صفحات عن خصائص التربية الإسلامية ، التي تقوم على عبادة الله وتكوين الإنسان المؤمن الصالح المتعاون في محبة ، لا المحارب بحثا عن انتصار في ميادين الحياة ، الذي يتعامل مع كل البشر ، بقيم هذا الدين دون تفريق ، التربية الإسلامية التي تنادي «والله لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» (رواه الإمام أحمد والترمذي) . والعلم والتعلم فريضة للجميع بلا انتقاء ، والمسلم يربى على أن يسارع للخيرات بلا سلبية أو تجاهل .

ثانيها : دعوة إلى تربية كونية تراعي مصلحة البشر بعامة ، وتقوم على التعاون والعمل الصالح . وموقف التربية الإسلامية وما تقدمه في ذلك مشهود .

ثالثها : السعي إلى تربية تتبنى رؤية جديدة ، تستخدم كل الفرص لتنمية الإنسان مدى الحياة : داخل الأسرة ، ومع الآخرين ، وتتخذ من المجتمع المحلي ومن وسائط الإعلام ، بديلا للتربية الحالية التي تنحصر في الكتاب والمنهج . والتربية الإسلامية كما أوضحنا تقرأ كتاب الكون كله ويتضافر كل فرد فيها على نشر قيم الإسلام والعلم .

وللأسرة والأقران في التربية الإسلامية آداب ومنهج للتعامل ، هو ثمرة

لتربية أرست شعورا عميقا بالمسؤولية في قلب الفرد ووجدانه وضميره ، بأنه راع مسؤول عمن يرعاهم ، فلا يهملهم ولا يتركهم بلا توجيه أو رعاية ، والولد في الأسرة المسلمة عاش وتربى على آداب تحترم الوالدين ﴿فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾ (الإسراء : ٢٣) ، فهي أسرة تجمعها طاعة الله ، ففيها دفء المحبة لا برودة الأنانية وجموح الهوى والبحث عن المصالح الفردية . وكل هذا النهج آداب سائدة في المجتمع المسلم ، يمتصها الطفل في حياته ووسط أهله ويعمق شعوره بها حين يدرك أنه بذلك يرضي ربه . والفرد مطالب أن يختار قرناء الخير وأن يلتصق بهم . والمجتمع المحلي الذي تربى على الإسلام هو المجتمع الذي رأيناه ونراه كلما وجدنا مسلمين صالحين ، وهو مجتمع التكافل والتعاون والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فالفرد في الأسرة والقرناء والمجتمع المحلي حلقات تتماسك في محبة وود وتعاون على ما أمر الله به ، وبعد عما نهى عنه . ووسائل الإعلام أدوات أساسية في التربية الإسلامية تقوم على توجيه إسلامي يذيع الكلمات الطيبة وينأى عن الخبيثة ، ليس هدفه الإثارة ولا غايته السبق بالفضائح .

وهذا الجانب الثالث الذي أشرنا إليه في تقرير اليونسكو في التربية لمواجهة متطلبات القرن الحادي والعشرين ، يركز على إعادة ترتيب الأولويات ، وانفساح الرؤية لدور التربية وهدفها ، فالتربية في القرن الحادي والعشرين لا بد أن تلتحم على نحو أكبر بمجتمعها ، تستخدم مؤسساته القائمة كمؤسسات معلمة تسهم في إكساب الناشئة خبرات حية ، وتجذب إليها كفاءات المجتمع ليسهموا بالرأي والعون في كل ما يتصل بالمدرسة وعملها ، وعلى التربية التي تتبنى مبدأ المجتمع دائم التعلم[٦١] ، أن تستخدم بفعالية المؤسسات المؤثرة في

تكوين الفرد : اتجاها وعلما ومهارة : كالأسرة والأقران والمسجد والإعلام لتحقيق الهدف . ودور المسجد في الشريعة كمنارة فكرية أثرت في الفكر وقادت التوجيه إلى السلوك الإنساني بالعبادة والعمل ، اعترف به وبأثره كل من أرخ للحركة الثقافية الفكرية الإنسانية ، فهو مركز إشعاع فكري وحوار حول مصالح الناس ، وتوجيه دائم يجمع المجتمع بعامة ، والمحلي بخاصة . وحين تعامل المدرسة كما كانت تعامل في المجتمع الإسلامي كامتداد للمسجد ، سوف تنال من مجتمعها ما تتطلع إليه من عون وتفاعل في تنمية مبدأ التعلم المستمر ، والمجتمع دائم التعلم .

ويركز التقرير في ختامه على قضية القضايا التي يتركز حولها التوجه في البحث عن تربية جديدة لعالم جديد ، وهي قضية القيم والأخلاق التي أدى اهتزازها إلى سلب القوة الدافعة النبيلة في الفرد والأسرة والمؤسسات ، وظهرت نتائجها في غياب «الاهتمام» : اهتمام الفرد بنفسه وبغيره وبمن حوله .

ويكمل هذا التقرير ويؤازره ندوات ولقاءات وتقارير أصدرتها اليونسكو ، ترفع هذا الشعار الجديد كأولوية لتوجه التربية في تحولها لمواجهة عالم جديد . هذا الشعار هو نقلة أو استكمال للشعار الذي رفعته اللجنة الدولية برئاسة إدجارفور في السبعينيات : «تعلم لتكون»(٦٢) ، أما الشعار الجديد «تعلم لتهتم»(٦٣) . اهتمام المرء بذاته وبالأسرة والأصدقاء والقرناء وبالآخرين بعامة ، بالصالح العام لسعادة قومه والبشر من حوله وتقديم الخير لهم ، «اهتمام بحقوق الإنسان ، اهتمام باستمرار الرحلة على الكوكب منعا لتردي البيئة والاستهلاك غير المسؤول لمواردها ، اهتمام بالشعوب الأخرى ، اهتمام بالحقيقة والمعرفة والتعلم» . هذا الشعار صرخة من قادة التربية في العالم تعلن أن الفرد

نتاج التربية اليوم ، فقد الاهتمام إلا بنفسه وما يهواه نتيجة التوجيه المادي الصرف . وتبحث الدنيا عن تربية جديدة توقظ داخل الإنسان دافعا وقوة كبرى ليهتم ويبذل ! وهل يمكن أن يتواصل المرء بحق مع نفسه : تكاملا لرؤيتها ، ومع مجتمعه إحساسا بواجبه إزاءه ، ومع عالمه ، بغير أن يتواصل مع ربه من خلال تربيته الإسلامية؟ فأي خسارة لحقت بعالمنا في غياب هذا التوجيه الرباني؟

ولا يتسع المقام هنا لعرض طائفة أخرى من التقارير ، اهتمت باستطلاع رأي المفكرين والباحثين وذوي الرأي وعينات من الجماهير لتعرف أبرز المشكلات والرؤية للأولويات على الأفق المستقبلي ، وماذا يبحث الناس عنه من تغيير ، تلك الدراسات المستقبلية التي قادتها المنظمات الدولية منذ الثمانينيات وأبرز ما فيها ، تقديم «الدين» كأولوية مطروحة(٦٤) .

تلك رحلة قصيرة مع ما تعاني منه التربية المعاصرة ومشكلاتها الفعلية على لسان رؤساء أكثر الدول تقدما ، ومن تقارير المنظمات العالمية وهي تقارير تنطق بجلاء : إن البشرية خسرت الكثير بغياب التربية الإسلامية عن التطبيق في عالمنا المعاصر ، فهل نحن بحاجة إلى شهادة أخرى عن مكانة التربية الإسلامية ، إنها تربية اختارها الله الحكيم الخبير لتوجيه الإنسان ورعايته **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾** (المائدة : ٣) .

التوصيات

أهم التوصيات :

إن تهيئة الأجواء لتطبيق الشريعة الإسلامية في نظامنا التعليمي تنطلق من مفهوم أساسي هو أن التربية الإسلامية ليست مقتصرة على تدريس مادة الدين بالمدارس ، فالتربية الإسلامية عملية بناء متكامل لشخصية الإنسان الصالح المؤمن ، لا تقف عند صلاح عقيدته في الفكر ، بل تمتد بالإصلاح إلى عقله واستقامة منهجه بالبحث والتكامل وطلب الدليل ، وإلى جسمه وبنائه ، وإلى مسلكه وتعامله وتحليه بالآداب الشرعية في ذلك ، واتزانه العاطفي وتوجهاته ، وتكامل معرفته لما يلزم المرء لسداد رؤيته وقراره وفعله من مهارات وخبرات تحيل العقيدة والمعرفة إلى عمل نافع ، ونظام للحياة يسعد به ويسعد من حوله ، هذا التكامل يتطلب :

أولا : دورا للأسرة المسلمة ينبغي أن نهيئها للقيام به ، ليتوافر للطفل المسلم توجيه ورعاية مستمدة من هدى التربية الإسلامية في الكتاب والسُّنَّة ، ونتائج البحث العلمي المعزز لهذه التوجيهات . وتتمثل هذه التهيئة فيما يلي :

١ - توفير برامج لتثقيف الوالدين وتوعيتهما بدورهما تقدمها المؤسسات المعنية .

٢ - دعم يقدم لتوفير دائرة معارف إسلامية لتربية الطفل المسلم يستعين بها الوالدان ، يرجعان إليها في تنمية مسلكه وعلاج مشكلاته ، تتميز بالبساطة والدقة العلمية واليسر ، ويمكن إصدار كتيبات مبسطة حتى يتم ذلك .

٣ - توافر خدمات إرشادية للأسرة يقدمها متخصصون نفسيون اجتماعيون ، على وعي ودراية بتوجيه الإسلام وهديه في هذه المجالات .

٤ - العمل على أن يكون التعليم - قبل المدرسة - الذي يقدم الرعاية في الحضانات ورياض الأطفال ، موفرا في أسلوبه ومحتواه ، القدوة التي يتأثر بها الطفل ، مرسخا للعادات الإسلامية التي تشكل ركنا ركينا في بناء شخصية الفرد المسلم .

ثانيا : دورا في المساعدة والتوجيه للمؤسسات والجهات المعنية ، للانتقال بالتربية في هياكلها ونظمها من عملية مدرسية إلى عملية مجتمعية لبناء المجتمع الإسلامي الدائم التعلم ، الذي يوفر التربية الإسلامية للجميع . والتربية بمعناها الذي تقدمه الرؤية المتكاملة للتربية الإسلامية بحيث يشمل : الأطفال والبالغين والكبار والصغار والنساء والرجال ، ويستخدم كافة الوسائل والمؤسسات المعلمة : الثقافية والإعلامية والتقنية لتقديم هذه الخدمة التي يمكن من خلالها أن يدركوا ويتعلموا النهج الإسلامي للحياة والعمران ، من خلال دراساتهم المختلفة . وفي هذا المجال لا بد من تبنى رؤية جديدة تتميز بالمرونة وتمنح كل فرد ، على مدى رحلة حياته ، فرصة جديدة لأن يتعلم ويتغير (هذا التوجه معمول به في التعليم الممتد بإنجلترا والكليات المجتمعية بالولايات المتحدة ، وفي السويد وغيرها وهو التوجّه العالمي تحت شعار «تربية للجميع») .

ثالثا : دورا في مجال إعداد المعلم ، ينتقل بالوضع الحالي الذي يتبنى تربية إسلامية باللفظ والشعار والهدف العام ، وليبرالية غير ذات صبغة في المحتوى والطرائق والتنفيذ في برامج إعداد المعلم ، فلا تربية إسلامية بلا معلم يعي ويؤمن بمفهوم التربية الإسلامية المتكاملة وأهدافها ، يستطيع أن يقدم هذا التصور لطلابه في ثنايا كل قضية يعالجها وكل مسلك يدعو إليه ، ويمتلك الكفاية والقدرة على مساعدة الآخرين على التعبير ويتطلب ذلك :

(أ) سياسة جديدة في اختيار المعلم وإعداده ، والارتفاع بمستوى مهنته إلى مستوى المهن المنافسة ، التي تجتذب خير النوعيات وأصلحها لتقديم القدوة الرفيعة إلى الأجيال ، متمثلة في العقل المتفتح الباحث ، والسلوك المؤمن الملتزم ، والرؤية الشاملة للدين كعبادة في كل حركة وسكنة للفرد والمجتمع في إعمار الكون ، حيث تؤدي هذه السياسة الجديدة إلى إقبال النوعيات المتميزة على هذه المهنة وتوفر فرصة الاختيار من بينها .

(ب) سياسة وإجراءات تكفل اجتذاب المتميزين إلى مهنة التعليم واستمرارهم في هذه المهنة ، ورضاهم وسعادتهم بها ، ويتطلب ذلك :

- تنسيقا مع جهات الخدمة المدنية لتوفير الحوافز الملائمة في الرواتب والسكن وغيره من الميزات .

- تطوير أسلوب الإدارة المدرسية ومنهجها بما يوفر الاحترام

للمعلمين كعلماء ، ويعمل على مشاركتهم ومشورتهم فيما يخص مهنتهم ، فيشعروا بمكانتهم ويعتزوا بانتسابهم إليها .

(ج) إعادة بناء أهداف مؤسسات إعداد المعلم وبرامجها ومحتوى هذه البرامج ، بما يكفي إعداد معلم الإنسان الصالح المؤمن ، ويضمن اكتساب خريجي معاهد إعداد المعلمين للكفايات الفعلية اللازمة لهم في ممارسة مهنتهم .

(د) توافر برامج التدريب والتنمية المهنية المصاحبة للمعلم على مدى رحلة حياته المهنية التي تكفل له إثراء الفكر ، وتجديد طرائق الأداء ، ومواكبة البحث العلمي .

(هـ) الحرص على التكامل بين مؤسسات إعداد المعلم ومؤسسات التعليم والمجتمع وأولياء الأمور وقيادات الفكر ، لتحقيق التفاعل والتعاون وتوفير سبل المشاركة في تحقيق الهدف الأساسي ، وهو إعداد المعلم المؤمن المثقف الكفء .

رابعا : المراجعة الشاملة لبرامج التعليم العام ، هياكله وأهدافه ومناهجه وكتبه ، فستخدم على نحو أكبر في إعداد الإنسان الصالح لنفسه وغيره ومجتمعه وعالمه المصمم على العمران والتنمية المستديمة في عقل وإيمان ومرونة ، وقد تسهم المقترحات التالية في المعاونة على ذلك :

(أ) منح الأولوية في بناء المناهج وطرائق التدريس والكتب المدرسية للممارسة والتطبيق الفعلي ، وأن تصبح الكتب المدرسية كتبا توجه إلى التفكير وتنميته ، والتعلّم الذاتي ومهارته ، والأنشطة

والفعل ، أكثر منها كتبا لمعلومات تستظهر ، ولكي تصبح أدلة فعل لا نصوص حفظ .

(ب) توسيع قاعدة المشاركة في أمور التعليم بعامة لضمان الانتفاع بالخبرات والكفايات ، وتوافر الرؤية الثرية الواسعة للقضايا والمشكلات ، بحيث لا تقتصر على المربين وحدهم ، بل تضم قيادات القطاعات الأخرى في المجتمع ، هذه التي تستقبل خريجي التعليم ، ولديها ملاحظات على إعدادهم ومقترحات لتطوير ذلك ، وأعلام الثقافة في المجتمع ، الواعين برسالة إعداد الإنسان الصالح وحركة العالم وتوجهاته ونبض المجتمع واحتياجاته . فالتربية أخطر من أن ينفرد بالرأي فيها من يعملون بها وحدهم ، وهي ذروة مصلحة المسلمين التي ينبغي أن يهتم بإنمائها وتطويرها كل قادر . انظر إلى لجان الاستماع التي تكونها اللجان التي تكلف بدراسات تطوير التعليم حيث تستمع لكل راغب معني في أن يقدم رأيا أو مقترحا ، وهو نهج الشورى الذي تقوم عليه التربية الإسلامية .

(ج) اعتبار العمل التطوعي في خدمة المجتمع والناس جزءا من متطلبات تخرج الدارسين من المراحل المختلفة في التعلبيم .

(د) إدخال مبدأ الاختيار في المناهج للاستجابة للاهتمامات والاحتياجات المتنوعة والفروق الفردية ، بإتاحة مسارات

للمتفوقين، وبرامج لرعاية بطيئي التعلّم، لتكون البرامج أكثر مرونة، وأكبر قدرا على الاستجابة لحاجات المتعلمين.

(هـ) أن تضمن المناهج وأنشطتها بدءا من الرياض وحتى نهاية التعليم العام، ما يغرس في العقول والقلوب قيمة العمل وكرامته واكتساب قدر من المهارات الملائمة التي تمكن المرء من التعامل الذكي مع منجزات التكنولوجيا التي يستخدمها في حياته اليومية، بالاعتماد على نفسه ما أمكن في إجراء الإصلاحات اليسيرة وعمليات الصيانة بمنزله، وقضاء فترة مناسبة في مؤسسات العمل ببيئته ليتعرف فرص العمل المتاحة والملائم منها لاهتماماته وميوله (التربية من أجل المهنة).

(و) ضمان أن يتخرج الفرد من التعليم العام، وهو يحسن قراءة كتاب الله ويحفظ منه، ويحسن استعمال أدوات المعرفة الميسرة (التي نعمل على توفيرها له) التي تمكنه من الوصول إلى تفسير ما يغمض عليه، وما يحتاج إلى تفصيلاته من أحكام الشريعة فيما يواجه بحياته من مواقف واحتياجات.

(ز) الانتقال بالمكتبات من مخازن لكتب المعرفة، إلى مراكز لخدمات المعلومات بأوعيتها الجديدة وتكنولوجيتها، وتشجيع المجتمع على المساهمة في نشر العلم النافع، بتحمل نفقات في هذه المراكز أو تخصيص أوقاف لها (علم ينتفع به).

(ح) توفير برامج وأنشطة وتوجيه يستثمر أوقات الفراغ بما يحقق أقصى استثمار للفراغ في تنمية الكفايات والمواهب، وفتح السبيل أمام الاهتمامات «إن الفراغ في الشرق يدمر ألوف الكفايات والمواهب ويخفيها في ركام هائل من الاستكانة والعجز، كما تختفي معادن الذهب والحديد في المناجم المجهولة»(٦٥).

خامسا : تهيئة مناخ من القبول الفكري للرؤية الجديدة للتربية، بتوجهها إلى إعداد الإنسان الصالح المؤمن.

هناك من أقاموا في أذهانهم تصورا للتربية الإسلامية، يستثير في أنفسهم وفي غيرهم تخوفا وقلقا يرتفع عند بعضهم إلى المهاجمة والمعاداة واستعداء الجميع.

ويقوم هذا التصور على نقص في إدراك الطبيعة المتكاملة للتربية الإسلامية بين الطهارة الملتزمة والانفتاح على الكون، وعبادة الرحمن بالتأمل والبحث والتجريب، والنظر في علياء السماوات وأجرامها وباطن الأرض والبحر ومكوناته، أمرا من الرحمن لتعميق الوعي بنعمه ونظامه. فهم لا يرون إلا النمط الغربي الذي اعتادوه يفصل بحدة بين الدين والعلم والتجريب وشؤون حياة الناس، معتبرا أن كل مجال من ذلك لا علاقة له بالآخر، بل يرون أن هذا الفصل يمثل ثمرة انفصال العقل والفكر المتحرر عن القيد الديني الذي كبل الإنسان وحرية الانطلاق والإبداع، منطلقين في ذلك من تجربة

الكنيسة والعلم ونشأة ما يسمونه عصر التنوير، وهم يغمضون عيونهم ويغلقون آذانهم عن قول «جب» المفكر المشهور في كتابه الاتجاهات الحديثة في الإسلام : «من المتفق عليه أن الملاحظات التفصيلية التي قام بها الباحثون المسلمون، قد ساعدت على تقديم المعرفة العلمية وقدمت مساعدة ملموسة، وأنه عن طريق ملاحظات هؤلاء العلماء المسلمين، وصل المنهج التجريبي إلى أوروبا في العصور الوسطى»[٦٦]، هذا الخوف المفتقر إلى المعرفة الصحيحة بالتربية الإسلامية يدفعهم إلى التصدي لكل محاولة تقترب بالأمة من تربية أجيالها مع توجيه ربها . فهناك حاجة ماسة أساسية إلى حملة فكرية تتسم بالهدوء والحكمة والموعظة الحسنة ورحابة الصدر، لتقديم المفهوم المتكامل للتربية الإسلامية في شموله وتطبيقاته لكل المؤسسات التربوية والثقافية في مجتمعنا . وإذا كنا نقيم الحوار بين الشمال والجنوب، والمسيحية والإسلام، فهل يتأخر الحوار والإعلام والتواصل مع كل الخائفين بيننا؟ ليروا أي خسارة ومضرة يعانيها العالم من غياب التربية الإسلامية الصحيحة . ويتطلب ذلك تكثيف الندوات وبرامج الإعلام والكتب المبسطة لكل التجمعات المهنية لتحقيق هذا الهدف، وبخاصة إذا قدمت دراسات علمية جادة، وبرامج واضحة لنوعية التغيير ونتائجه المتوقعة، وأهدافه القريبة والبعيدة، ليرى الجميع انفتاحا في رحابة سماحة الرحمن، وتواصلا وعقلا وحكمة تخفف من حدة القلق وتمهد للتطبيق والتعاون عليه .

سادسا : توفير الظهير العلمي لممارسات تطبيق الشريعة الإسلامية . إن قيام مركز لبحوث التربية الإسلامية ودراساتها ، منفتح على العالم ومؤسساته ودراساتها ، قائم على النهج الإسلامي في تحري الحق ومنهج العلم ، وتقديم ما ينفع الناس ، ليوفر لتجارب تطبيق الشريعة الإسلامية التي تقوم بها مؤسسات تعليمية أو ثقافية حكومية أو أهلية ، المساندة العلمية البحثية المثمرة في بناء المناهج وإعداد الكتب والبرامج ، لتكون الظهير العلمي المتخصص المتابع للميدان وإنجازاته ، يعمل على إشاعتها ، وإدارة الحوار حولها وتدريب الراغبين على تطويرها والإفادة منها وإصدار البحوث والدراسات التي تعزز كل ذلك ، ويتصدى لما تواجه من مشكلات في التطبيق بالدراسة العلمية والمشورة .

إن هذه المنارة العلمية يمكن أن تقدم الكثير لتهيئة الأجواء وتسديد تجارب التطبيق ، ويمكن أن تقوم هذه المنارة في نطاق الجامعة ، أو مستقلة أو في رعاية مؤسسات البحث ، المهم أن تبدأ وتتواصل .

سابعا : استراتيجية التحرك نحو التوصيات والتطبيق . تشير الدراسات والبحوث والمؤتمرات إلى استراتيجيات أربع في التحرك نحو تطوير التربية بعامة[٦٧] .

تتجه أولاها إلى التركيز على التوسيع الخطي وزيادة الأعداد ، وإدخال تحسينات جزئية هامشية في مجالات منفصلة من جوانب العملية التربوية .

- **وتتجه الثانية** : إلى التركيز على النوع والكيف ولكن «وفق المفاهيم والمعايير والممارسات الدارجة» وهو ما يطلق عليه «استراتيجية التجويد» ، أو الإصلاح الجزئي للنوعية .

- **والاستراتيجية الثالثة** : ترتكز على توفير العمالة اللازمة لسد احتياجات التنمية من الأطر الفنية ، أي على الكفاءة الخارجية للتعليم . وغالبا ما تتمحور حول مزيد من الإعداد التقني والمجالات العلمية .

- **والاستراتيجية الرابعة** : هي التجديد الشامل النابع من ذاتية الأمة . وهي توجه يعبر عن اختيارها لنمط الحياة المميّز لها ، وهي تربية متكاملة في بناء الفرد ، دينامية في مواجهة حاجات الناس ، تقوم على الشورى والمشاركة والانتفاع بكل الكفايات ، أساسها علمي وتوجهها علمي ووجهتها الدنيا والآخرة .

جربت الاستراتيجيات الثلاث دون الرابعة ، فكانت تحركا وضجيجا في الموقع دون تقدم ، فهل آن الأوان أن يبدأ التحرك لبناء أمة صالحة على هدى الله؟ لتواجه الأمية بنوعيها : أمية الجهل بالقراءة والكتابة ، وأمية الجهل برسالة الإنسان في حياته ، نسأله سبحانه وتعالى أن يلهمنا الحكمة لتهيئة الأجواء ، للتطبيق بما نصل إليه من توصيات تسهم في بناء الثقة ، ونزع الخوف ، واجتذاب القادرين على المشاركة معنا في كل موقع ، والبدء باليسير ، والأخذ بالتيسير والانفتاح على الدنيا وتجاربها .

وجد من يقول : «لا تأخذ فكرا من أحد !» قلت : «لا تستورد العقائد

والأخلاق ، ولكن الخطط التي تخدم أهدافا مشتركة لا معنى لنبذها إذا كانت تفيدنا» .

قالوا : ماذا تعني : قلت الظلم قبيح عند الناس كلهم ، فإذا تحصنت أمة بطريقة حسنة فإن ديني لا يمنع نقل هذه الطريقة(٦٨) . وصدق رسول الله ﷺ : «الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق الناس بها» (رواه ابن ماجة) . والحكمة خير ما يحصل عليه المرء ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ (البقرة : ٢٦٩) صدق الله العظيم .

والله من وراء القصد يهدي السبيل .

الهوامش :

١ - ارجع إلى علي أحمد مدكور «منهج التربية في التصور الإسلامي» بيروت ، دار النهضة العربية ١٩٩٠ .

٢ - توفيق الطويل «أسسس الفلسفة» ط . ٥ القاهرة ، دار النهضة ١٩٦٧ .

٣ - عبدالرحمن صالح عبدالله «المنهاج المدرسي أسسه وصلته بالنظرية التربوية الإسلامية» مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ط ١ ، ١٩٨٥ نقلا عن علي أحمد مدكور ، مرجع سابق .

٤ - جون س . بروبيكر «الفلسفات الحديثة للتربية» ترجمة نعيم الرفاعي ١٩٦٧ ص . ١ .

٥ - علي أحمد مدكور «منهج التربية في التصور الإسلامي» سابق ص . ٢٧٤ - ٢٨٠ .

٦ - عبدالحميد أبو سليمان «قضية المنهجية في الفكر الإسلامي» في المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية . من منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي :١٩٩ ص . ١١٧ .

٧ - محمد علي المرصفي ، من المبادئ التربوية في الإسلام ، جدة ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ١٤٠٣هـ .

٨ - قدم الباحث هذا النهج مدخلا للجزء التربوي لموسوعة العالم الإسلامي ، ١٩٩١/ ١٩٩٢ ، الكويت .

٩ - إسحق أحمد فرحان : «التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة» . عمان - الأردن : دار الفرقان ، ١٩٨٣ ص : ٣٧ - ٤٧ .

١٠- عبدالرحمن صالح عبدالله : «الموضوعية في العلوم التربوية» المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ١٩٨٧ ص : ١٣ .

١١- يوسف القرضاوي : «مبادئ وقيم للتعليم في ضوء السنة العطرة» : حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، العدد الأول ١٤٠١ - ١٩٨٠ ، ص : ١٧ - ١٩ .

١٢- عبدالجواد السيد أبو بكر : «فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف» ، القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٨٣ ص : ١٩٢ .

١٣- JOHN DEWEY, PHILOSOPHY OF EDUCATION (USA: LITTLEFIELD, ADAMS ET CO. 1996). p. p. 169 - 179

١٤- AUTHORITY

١٥- ماجد عرسان الكيلاني : «فلسفة التربية الإسلامية» ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ١٩٨٧ ص : ٨ .

١٦- إدوارد دي بونو : «تعليم التفكير» ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، ١٩٨٩ .

١٧- ارجع إلى د . مقداد يالجن : «جوانب التربية العقلية والعلمية في الإسلام» . مجلة المسلم المعاصر ، العدد ٣١ مايو ١٩٨٢ ، ص : ٦٤ - ٦٥ ، في موضوع تعليم الحكمة والتنشئة عليها .

١٨- رواه البخاري في الصحيح ، «كتاب العلم» (باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهة ألا يفهموا) .

١٩- حسن الشرقاوي : «نحو تربية إسلامية» ، مصر : مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٨٣ ، أفرد فصلا موسعا للآداب الإسلامية ، جمعها من مصادر مختلفة ، ص : ٣٣٥ - ٣٥٨ .

٢٠- «إحياء علوم الدين» للإمام أبي حامد الغزالي ، الجزء الأول ، ص : ٥٢ - ٥٣ .

٢١- علي أحمد مدكور : «نهج التربية في التصور الإسلامي» ، مرجع سابق ، ص : ٢٥٩ .

٢٢- قال ﷺ فيما رواه أبو هريرة : «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها» رواه ابن ماجة في السنن .

٢٣- برهان الإسلام الزرنوجي حنفي المذهب ، ينسب إلى زرنوج بلد مشهور من أعمال تركستان ، وهو تلميذ الفرغاني المرغيناني ، عاش في أواخر القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) وأوائل القرن السابع الهجري (الثالث عشر

الميلادي) . وتوفي على الأرجح فيما بين عامي ٥٩٣ - ٦٢٠هـ ، وقد اشتهر كتابه «تعليم المتعلم طريق التعلم» . وقد ترجم إلى اللاتينية ، ويعد بعض الباحثين كتابي القابسي والزرنوجي أهم كتابين في التربية الإسلامية في الثقافة العربية الإسلامية القديمة . ارجع إلى : سيد أحمد عثمان ، برهان الإسلام الزرنوجي وكتابه «تعليم المتعلم طريق التعلم» في : من أعلام التربية العربية الإسلامية ، المجلد الثالث ، نشرة مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٩٨٨ .

٢٤- INFORMATION AGE

٢٥- علي خليل مصطفى أبو العينين : «التربية الإسلامية وتنمية المجتمع الإسلامي» ، مكتبة الحلبي ، المدينة المنورة ، ١٩٨٧ ص : ٢٦ .

٢٦- الحلم الأمريكي الذي يترجم الفلسفة البرجماتية النفعية - The American Dream - المتمثلة في الفرد الناجح الظافر بكل شيء . ارجع إلى حسن الشرقاوي : «نحو تربية إسلامية «مرجع سابق ص : ١٧ وإلى AMERICA 2000 التي ترجمها مكتب التربية العربي لدول الخليج تحت عنوان : «آليات التخطيط الشامل للإصلاح التعليمي» ١٩٩٢ .

٢٧- سعيد إسماعيل علي : «أصول التربية الإسلامية» ، دار الثقافة : القاهرة ، ١٩٧٨ ص : ٦ .

٢٨- محمد قطب : «منهج التربية الإسلامية» ، دار الشروق ، بيروت .

٢٩- «مختصر تفسير ابن كثير» ، تحقيق واختصار محمد علي الصابوني ، المجلد الثالث ، ص : ٤٧٥ ، دار القرآن الكريم ، ١٩٨١ .

٣٠- سيد قطب : «في ظلال القرآن» ، المجلد الثامن ، ص : ٣٣٥ ، الطبعة الخامسة .

٣١- علي خليل مصطفى أبو العينين : «القيم الإسلامية والتربية» ، مكتبة إبراهيم حلبي : المدينة المنورة ، ١٩٨٨ ص : ٦٨ .

٣٢- يوسف القرضاوي : «الحل الإسلامي فريضة وضرورة» ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٧٤ ، ص : ٥٧ .

٣٣- علي القاضي : «أضواء على التربية الإسلامية» ، مرجع سابق ، ص : ٤٠ .

٣٤- محمد أبو زهرة : «خاتم النبيين» ، إدارة إحياء التراث ، قطر ، ١٩٨٦ ، ص : ١٨٦ .

٣٥- يوسف القرضاوي : «الحل الإسلامي فريضة وضرورة» ، مرجع سابق ، ص : ٥٧ .

٣٦- محمد فاضل الجمالي : «فلسفة تربوية متجددة لعالم عربي يتجدد» ، بيروت ، مطابع الكشاف ، ١٩٥٦ ، وكذلك بحثه المعنون ، «نحو تجديد الفكر التربوي في العالم الإسلامي» ، مقدم إلى الندوة الإسلامية بالقيروان ، ١٩٨٤ ، نشر بمجلة المسلم المعاصر ، العدد ٤٢ ، عام ١٩٨٥ .

٣٧- سعيد إسماعيل : «أصول التربية الإسلامية» ، دار الثقافة : القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص : ١٠٩ - ١١٨ .

٣٨- المصدر السابق ، ص : ١١٧ - ١١٨ .

٣٩- عبدالوهاب خلاف ، دار القلم ، ١٩٧٠ ، ص : ١٦ .

٤٠- المصدر السابق ، ص : ١٢ .

٤١- قام مكتب التربية العربي لدول الخليج بعمل جليل ، صدر في أربعة أجزاء ، جمعت فيه الدراسات الحديثة التي أعدها مربون معاصرون ، عن هؤلاء العلماء الأفاضل تحت عنوان «من أعلام التربية العربية الإسلامية» ، نشر المجلد الأول والثاني والثالث عام ١٩٨٨ ، أما الرابع فنشر عام ١٩٨٩ .

٤٢- ارجع إلى سعيد إسماعيل علي : «دراسات في التربية الإسلامية» ، عالم الكتب : القاهرة ، ١٩٨٢ .

٤٣- جلال الدين السيوطي : «الإتقان في علوم القرآن» ، مكتبة محمود توفيق ، القاهرة ، ١٩٤١ ، ط ٣ ، ج ١ ص : ٦٨ .

٤٤- أمينة أحمد حسن : «نظرية التربية في القرآن وتطبيقاتها في عهد الرسول» ،

المرجع السابق ، ص : ١٩٧ .

٤٥- محمد عبدالسلام : «التشريع الإسلامي في دراسات الثقافة الإسلامية» ، مكتبة الفلاح : الكويت ، ١٩٨٠ ، ص : ٢٤٢ - ٢٤٣ .

٤٦- علي أحمد مدكور : «منهج التربية في التصور الإسلامي» ، مرجع سابق ، ص : ١٧٣ .

٤٧- عبدالغني الدقر ، عبدالله بن مسعود : «في أعلام التربية العربية الإسلامية» ، ج ١ ، ص : ٨٧ .

٤٨- عبدالجواد سيد بكر : «فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف» ، مرجع سابق ، ٢١٨ .

٤٩- عبدالوهاب خلاف : «مصادر التشريع الإسلامي فيما لا نص فيه» ، مرجع سابق ، ص : ١٣٥ .

٥٠- عبدالغني الدقر : «الإمام الشافعي» ، مرجع سابق ، ص : ٢١٠ .

٥١- عبدالفتاح جلال : «من الأصول التربوية في الإسلام» ، مرجع سابق ، ١٩٧٧ ص : ١٢١ .

٥٢- محمد قطب : «منهج التربية الإسلامية» ، مرجع سابق ، ص : ٢٣٦ - ٢٤٦ .

٥٣- قام مكتب التربية العربي لدول الخليج بترجمة هذا التقرير تحت عنوان : «آليات التخطيط الشامل للإصلاح التعليمي» ، وثيقة تعليمية عن الولايات المتحدة الأمريكية ، الرياض ، ١٩٩٢ .

٥٤- قام بترجمته يوسف عبدالمعطي ، ونشر بعنوان : «أمة في مواجهة الخطر» ، ونشره مكتب التربية العربي لدول الخليج عام ١٩٨٣ .

٥٥- UNESCO, EDUCATION AND LEARNING FOR THE 21 ST CENTURY: A PRIORITY AGEND, JUNE 1992.

٥٦- يوسف عبدالمعطي : حول مؤتمر اليونسكو : «التربية للجميع» ، اللجنة الوطنية الكويتية لليونسكو ، ١٩٩١ .

٥٧- في ندوة اليونسكو : «حول آفاق المستقبل» ، بانكوك ١٩٩٠ .

٥٨- UNESCO and UN, OUR CREATIVE DIVERSITY, REPORT OF THE WORLD COMMISSION ON CULTERE & DEVELOPMENT, 1995, P. 7.

٥٩- SUSTAINED DEVELOPMENT

٦٠- UNESCO, QUALITIES REQUIRED OF EDUCATION TO MEET FORESEEABLE DEMANDS IN THE TWENTY - FIRST CENTURY (Paris: UNESCO, 1989).

٦١- LEARNING SOCIETY

٦٢- يوسف عبدالمعطي وحسن جميل طه : «تعلم لتكون» ، ترجمة تقرير اللجنة الدولية لتطوير التربية في العالم . وزارة التربية بالكويت ، ١٩٧٢ .

٦٣- EDUCATION FOR CARING

٦٤- اليونسكو : «العالم في آفاق عام ٢٠٠٠» ، ملخص تقرير للمجلس التنفيذي لليونسكو في دورته الخامسة والعشرين ، ١٩٨٩ ، ترجمة مندوب الكويت في المجلس التنفيذي .

٦٥- محمد الغزالي : «جدد حياتك» ، دار الريان للتراث ، ١٩٨٧ ص : ٦٧ .

٦٦- علي القاضي : «أضواء على التربية الإسلامية» ، مرجع سابق ، ص : ٤٢ .

٦٧- محمد أحمد الغنام : «مستقبل التربية في البلدان العربية» ، مجلة التربية الجديدة ، عدد ٤ ، السنة الثانية ديسمبر ، ١٩٧٤ .

٦٨- محمد الغزالي : «دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين والأنصار» ، ١٤٠١هـ ، ص : ٢٠٨ .

المصادر العربية :

١ - إسحق أحمد فرحان : «التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة» . عمان : دار الفرقان ، ١٩٨٣ .

٢ - بروبيكر ، جون سي : «الفلسفات الحديثة للتربية» ، ترجمة نعيم الرفاعي ، دمشق : المطبعة التعاونية ، ١٩٦٧ .

٣ - توفيق الطويل : «أسس الفلسفة» ، القاهرة : دار النهضة ، ١٩٦٧ .

٤ - جلال الدين السيوطي : «الإتقان في علوم القرآن» ، القاهرة ، مكتبة محمود توفيق ، ١٩٤١ .

٥ - حسن الشرقاوي : «نحو تربية إسلامية» ، القاهرة : مؤسسة شباب الجامعة ١٩٨٣ .

٦ - دي بونو ، إدوارد : «تعليم التفكير» ، الكويت : مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، ١٩٨٩ .

٧ - سعيد إسماعيل علي : «أصول التربية الإسلامية» ، القاهرة : دار الثقافة ، ١٩٧٨ .

٨ - سعيد إسماعيل علي : «دراسات في التربية الإسلامية» ، القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٨٢ .

٩ - سيد قطب : «في ظلال القرآن» .

١٠- عبدالجواد السيد أبو بكر : «فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف» ، القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٨٣ .

١١- عبدالحميد أبو سليمان : «قضية المنهجية في الفكر الإسلامي في القضية المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية» ، د . م . : المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

١٢- عبدالرحمن صالح عبدالله : «المنهاج الدراسي ، أسسه وصلته بالنظرية التربوية

الإسلامية» ، د . م : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ١٩٨٥ .
١٣- عبدالغني الدقر : «أعلام التربية العربية الإسلامية» ، الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٩٨٨ .
١٤- عبدالفتاح جلال : «من الأصول التربوية في الإسلام» ، المركز الدولي للتعليم الوظيفي للكبار في العالم العربي ، ج م ع ، ١٩٧٧م .
١٥- عبدالوهاب خلاف : «مصادر التشريع الإسلامي فيما لا نص فيه» ، الكويت : دار القلم ، ١٩٧٠ .
١٦- علي أحمد مدكور : «منهج التربية في التصور الإسلامي» ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٩٠ .
١٧- علي خليل مصطفى أبو العينين : «التربية الإسلامية وتنمية المجتمع الإسلامي» ، المدينة المنورة : مكتبة الحلبي ، ١٩٨٧ .
١٨- علي القاضي : «أضواء على التربية الإسلامية» .
١٩- ماجد عرسان الكيلاني : «فلسفة التربية الإسلامية» ، د . م : المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ١٩٨٧ .
٢٠- محمد أبو زهرة : «خاتم النبيين» ، قطر : إدارة إحياء التراث ، ١٩٨٦ .
٢١- محمد أحمد الغنام : «مستقبل التربية في البلدان العربية» ، مجلة التربية الجديدة ، عدد ٤ ، السنة الثانية ، ديسمبر ١٩٧٤ .
٢٢- محمد عبدالسلام : «دراسات في الثقافة الإسلامية» ، الكويت : مكتبة الفلاح ، ١٩٨٠ .
٢٣- محمد علي المرصفي : «المبادئ التربوية في الإسلام» ، جدة : عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، ١٤٠٣هـ .
٢٤- محمد الغزالي : «جدد حياتك» د . م : دار الريان للتراث ، ١٩٨٧ .
٢٥- محمد الغزالي : «دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين» ، د . م : دار الانتصار ،

١٤٠١هـ .

٢٦- محمد فاضل الجمالي : «فلسفة تربوية متجددة لعالم عربي يتجدد» ، بيروت : مطابع الكشاف ، ١٩٥٦ .

٢٧- محمد قطب : «منهج التربية الإسلامية» ، ط ٣ ، القاهرة : دار القلم د . ت .

٢٨- مقداد يالجن : «جوانب التربية العقلية والعلمية في الإسلام» ، مجلة المسلم المعاصر ، العدد ٣١ مايو ١٩٨٢ .

٢٩- مكتب التربية العربي لدول الخليج : «آليات التخطيط الشامل للإصلاح التعليمي» ، الرياض : المكتب ، ١٩٩٢ .

٣٠- مكتب التربية العربي لدول الخليج : «من أعلام التربية العربية الإسلامية» ، الرياض : المكتب ، ١٩٨٨ - ١٩٨٩ .

٣١- يوسف عبدالمعطي : «أمة في مواجهة الخطر : الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٩٨٣ .

٣٢- يوسف عبدالمعطي : «حول مؤتمر اليونسكو والتربية للجميع : الكويت : اللجنة الوطنية الكويتية لليونسكو ، ١٩٩١ .

٣٣- يوسف عبدالمعطي وحسن جميل طه : «تعلم لتكون» ، ترجمة لتقرير اللجنة الدولية لتطوير التربية في العالم ، الكويت : وزارة التربية ، ١٩٧٢ .

٣٤- يوسف القرضاوي : «مبادئ وقيم للتعليم في ضوء السنة المطهرة» : حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، العدد الأول ١٤٠١ - ١٩٨٠ .

٣٥- اليونسكو : «العالم في آفاق عام ٢٠٠٠» ، ملخص تقرير قدم للمجلس التنفيذي لليونسكو في دورته الخامسة والعشرين . ترجمة مندوب الكويت في المجلس التنفيذي ، ١٩٨٩ .

المصادر الأجنبية :

1. DEWEY, JOHN. PHILOSOPHY OF EDUCATION (Littlefield: Adams et Co. 1966).
2. UNESCO, EDUCATION AND LEARNING FOR THE 21 St. CENTURY: A Priority Agenda (Paris: Unesco, 1992).
3. UNESCO and UN, Our Creative Diversity, Report of the World Commission on Culture and Development, 1995.
4. UNESCO, Qualities Required of Education to meet Foreseeable Demand in the Twenty - First Century, 1989.

المؤلف في سطور

- د . يوسف عبدالمعطي .
- ليسانس آداب من جامعة القاهرة ١٩٥٢ ، ودبلوم المعهد العالي للتربية ١٩٥٣م .
- ماجستير في الإدارة التربوية ، وإعداد المعلم في ضوء الاتجاهات الحديثة .
- دكتوراه في اقتصاديات التعليم : تخطيط وتقويم التعليم الفني من أجل التنمية .
- تدرج في الوظائف الإشرافية التربوية حتى صار مديرا لمعهد التربية للمعلمين ، ثم مديرا لإدارة التعليم الفني ، ثم مستشارا بالمركز العربي للبحوث التربوية لدول الخليج العربية ، ثم خبيرا باللجنة الوطنية الكويتية لليونسكو ، ويعمل حاليا مستشارا لمركز البحوث والدراسات الكويتية ، بالإضافة إلى تمثيله لدولة الكويت في لجنة التأليف والترجمة والنشر للمنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة ، وعضوية اللجنة التربوية المنبثقة من اللجنة العليا لتهيئة الأجواء لتطبيق الشريعة الإسلامية .
- له مؤلفات عدة في التعليم الأساسي ، والتعليم الثانوي ، والتعليم الفني ، وطرق التدريس العام .
- أشرف على عدد من البحوث والدراسات التربوية ، وتقويم البرامج التربوية .
- ترجم عددا من الكتب والتقارير التربوية العالمية مثل : «تعلّم لتكون» ، و«أمة في خطر» و«التربية مدى الحياة» .
- له بحوث ومقالات منشورة في عديد من المجالات التربوية .
- شارك في العديد من المؤتمرات العالمية والإقليمية والعربية ، وأسهم في إنشاء شبكة التجديد التربوي باليونسكو .
- زار الكثير من البلاد التي تقدم نظما تعليمية متطورة ، وله تقارير ودراسات عنها .

هذا الكتاب

- يقدمه الصندوق الوقفي للثقافة والفكر على طريق أهدافه المرسومة في دعم الفكر الإسلامي، وتجلية حقائقه، ويأمل أن يكون منطلقاً للتطوير في تربية الفرد المسلم على هدي من شريعة الإسلام الحنيف في مواجهة تحديات عالم معاصر.

- تعبير عن إيمان عميق بقدرة النهج التربوي للإسلام الحنيف على أن يمنح البشر، أفراداً ومجتمعات، ما يفتقدونه في خضم عالم الصراعات والعنف ودعوات التحلل، ومشاعر الضياع بعيداً عن سلام النفس وسكينتها والتعاون البناء مع الآخرين.

- يلقي ضوءاً على المبادئ الأساسية والمنطلقات التي تقوم عليها النظرية التربوية في الإسلام كمنهج رباني في التعامل مع الطبيعة الإنسانية تنمية لذاتها، وتوجيهاً لعلاقاتها بالكون والحياة على نحو يسعد البشرية في حاضرها ومستقبلها.

- يأمل مؤلفه أن يكون تواصلاً لجهود كريمة سابقة، وأخرى لاحقة بين المهتمين والمتخصصين في التربية، لتتعاون كلها في إطار تقديم الرؤية التربوية الإسلامية لحل ما يعرف عالمياً بأزمة التربية في عالم يضطرب داخل دائرة الصراعات المحمومة. وهو اليوم في حاجة ماسة إلى ما يمنحه تربية أمن السكينة والأمن والسلام.





الصندوق الوقفي للثقافة والفكر
فاكس [illegible] - ص.ب [illegible] - الدعية - الرمز البريدي [illegible] الكويت